فتوح إفريقيا والأندلس

تأليف

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم

(١٨٧ – ٢٥٧ هـ ٨٠٣ –

حققه وقدم له

عبد الله أنيس الطباع

مجاز في الدراسات الشرقية

ليسانس في الادب

دكتوراة دولة في الفلسفة والآداب

الدبلوم العالي لتنظيم المكتبات من مدريد

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

للطباعة والنشر

بيروت

١٩٦٤

مقدمة

عرف العرب طريقهم الى مصر الباب الرئيسي الى ساحل الشمالي الافريقي عندما فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس فيما تؤكده المصادر ويشير اليه ابن خلدون[1] : « من ان عمرو بن العاص استأذن عمر في فتح مصر ، فأغزاه ، ثم اتبعه الزبير بن العوام فساروا سنة عشرين للهجرة (٦٤٠ م) او سنة احدى وعشرين ، او اثنين وعشرين ، او خمس وعشرين ، فاقتحموا باب اليون ، ثم ساروا في قرى الريف الى مصر ولقيهم الجاثليق ابو مريم ، والاسقف ، وقد بعثه المقوقس . »

من الثابت في تاريخ الفتوح الاسلامية ان الاستيلاء على مصر كان ابان الحملات النظامية ، ولم يكن من باب مجرد الغارة

---

١ ــ انظر : العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) ج : ٢
دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٩٦١

او الغزو[1] ، وكان اول موضع حصين صادم العربُ فيه الروم هو الفرماء (بلوسيوم) مدخل مصر الشرقية حيث اشتبك الفريقان في قتال شديد استمر قرابة شهر وذلك في السنة نفسها من دخول القوات العربية الى مصر .

ان الحملة الاسلامية العسكرية على مصر تكاد تنتهي عندما اتصل الجاثليق ابو مريم بعمرو وعرض عليه القائد العربي ، الجزية والمنع واخبره بما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم وأجلهم ثلاثاً[2] . غير ان موقف امير الروم وارطبون من هذه الشروط ورفضه لها ، وعزمه على القتال دفع الجيش العربي الى متابعة القتال حتى تمكن من هزمه وجنده ، ثم تابع زحفه حتى نازل عين شمس ، وهي المطرّية « هليوبولس »، واخذ عمرو يرتقب المدد ، ويتربص بعدوه حتى وصلت امدادات الخليفة بقيادة الزبير بن العوام ، كما اشار إلى ذلك ابن خلدون ، وكان القائد العربي قد بعث ابرهة بن الصبَّاح لحصار « الفورفا » وعوف ابن مالك لحصار الاسكندرية ، وفي المعارك التي نشبت بين الفريقين تفرق الجيش البيزنطي ، وفر تيودورس الى الاسكندرية

١ ــ انظر : تاريخ العرب المطول ، حتي ، جرجي جبور ، ج ١ ص٢١٥ : دار الكشاف ــ بيروت ١٩٥٢

٢ ــ انظر : تاريخ ابن خلدون المصدر السابق

بينا احتمى المقوقس في بابليون وسرعان ما ضيق العرب الحصار على القلعة غير ان ضعف عتادهم الحربي حال دون اقتحامهم لها وهدمها ، ولكن الامر لم يطل بهم كثيراً عندما عرض عليهم المقوقس سراً الاموال ليردهم عن الحصار ، وعندما فشل مسعاه وكان جواب عمرو الى رسله « انه ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال ، اما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا ، وكان لكم ما لنا ، وان ابيتم واعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون ، واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين[1] . » خضع المقوقس للشرط الثاني ورحل الى الاسكندرية ليرفع شروط الصلح الى هرقل امبراطور الروم ، هذه الشروط التي اغضبته ودفعته الى نفي عامله بعد ان اتهمه بالخيانة .

بعد سبعة اشهر من حصار قلعة بابليون تمكن الزبير بن العوام من ردم بعض الخندق الفاصل بين جيوشه واسوار القلعة ثم اتى بسلّم فصعد عليه حتى اشرف على الحصن وهو مجردٌ سيفه ، فكبر وكبّر المسلمون واتبعوه وفتحوا الحصن عنوة سنة ٢١ هـ (٦٤١م)[2].

---

١ ـ انظر : تاريخ ابن عبد الحكم الذي نحن بصدد نشره ص : ٦٥

٢ ـ انظر : كتاب فتوح البلدان للبلاذري تحقيق عبدالله وعمر الطباع دار النشر للجامعيين ـ بيروت ١٩٥٧

لم يلبث عمرو بعد سقوط قلعة بابليون في يده وسيطرته على الجانب الشرقي من ارض الدلتا حتى اخذ يضغط بقواته على رأسها، ولم يلبث ان استولى على نيقوس ، واعقب ذلك معركة حامية .

بلغت قوات العرب ، اثناء الزحف على الاسكندرية نحواً من عشرين الفاً فيما يؤكده اكثر المؤرخين، بينما كان يقابلهم خمسون الفاً من البيزنطيين يحمون الاسكندرية ويساندهم في دفاعهم القوي الراسي اسطولهم في قاعدتها الحربية الكبرى .

ترك عمرو قطعاً من الجيش حول الاسكندرية ، وشق طريقه الى بابليون واخذ يشن الحملات على مصر العليا في فترة مات خلالها هرقل ، واعتلى ابنه قسطنطين الثاني سنة ٢٢ هـ (٦٤٢ م) العرش ، وقد قدّر موقف المقوقس وعفا عنه وارسله الى الاسكندرية ليوقع شروط المعاهدة مع العرب ، هذه المعاهدة التي نصت على دينارين يدفعهما كل رجل ، وعلى خراج الارض انه للفاتحين ، كما فرضت على السفن الرومية عدم دخول الساحل المصري ، وان لا يُعمل على استرجاع البلاد ، وكان جلاء الروم سنة ٢٢هـ (٦٤٢ م) . وقد اقرّ الامبراطور الجديد شروط المعاهدة، وهكذا تم للعرب الاستيلاء على اعظم موقع استراتيجي مفتاح الشمال الافريقي بأسْره ، ومركز حضارة ومدنية عمل الزمن ،

وساعدت الظروف السياسية على اقامتهما في الطرف الشمالي الشرقي من القارة الافريقية .

بعد هذا الانتصار الذي حققه الجيش العربي بقيادة عمرو بن العاص ، نزل القائد العربي ثانية « عين شمس » ، واتخذ مقره في الموضع الذي ضربت فيه أخبية الجيش اول ايام الفتح ، واختط عاصمته المعروفة بالفسطاط [1] ، وكان ذلك بناء لرغبة امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وعلى غرار الجابية في الشام والبصرة والكوفة في العراق [2] ، وفي هذه المدينة بنى عمرو اول مسجد للاسلام في مصر .

لقد تكشفت الحرب في لقاء الجيشين العربي الزاحف من الشرق ، والروماني المتربص في مواقعه وقلاعه على الساحل عن واقع الجيش العربي الذي تميز بخفة الانطلاق ، وسرعة الحركة ، وقوة المعنويات ، والايمان ، والاعتماد على الطرق الصحراوية في في حركاته العسكرية الخاطفة ، تلك الميزات التي دفعت به الى التغلب على الجيش الروماني على طول الساحل الشمالي لافريقيا فيما بعد ، هذا الجيش الذي كان في اكثره من المرتزقة والذي كانت

---

١ ـ انظر : تاريخ العرب المطول ج : ١ ص : ٢٢٠

٢ ـ انظر : تاريخ ابن عبد الحكم الذي نحن بصدد نشره ص : ٢٦٣ وما يليها

له اساليبه الخاصة في الحركة ، وقد اعتاد ان يسير بعربات تجرها الخيول القوية على الطرق المرصوفة بالحجارة ، والذي لم يعرف في حياته العسكرية حرب الصحراء ، فضلًا عن ضعف ايمانه بمبادىء الدولة التي يعيش في خدمتها .

امام هذا الواقع العسكري ، وعلى اثر الانتصارات التي حققتها الجيوش العربية الزاحفة ، وبعد ان قدر للقيادة العربية ان توجه سياسة القطر المصري من الناحيتين الادارية والعمرانية وان يحتفر عمرو بن العاص القناة الفرعونية القديمة والتي سميت خليج امير المؤمنين ، وبعد ان امت السفن العربية شواطىء بلادها تحمل غلال الارض وخيرات القطر الجديد ، اخذت تطبق النظام الاداري في البلاد التي كان معمولاً به خلال الحكم البيزنطي وذلك على غرار ادارتهم للاقطار التي تم فتحها كسوريا وفارس ، والعراق .

في هذه الحقبة بالذات من تاريخ العرب في مصر ولى الخليفة عمر بن الخطاب عبدالله بن سعد بن ابي سرح على الصعيد ، وهيأ بولايته هذه رجلين على جانب عظيم من المقدرة والحنكة ، والمرونة ، عمرو بن العاص القائد العسكري واحد دهاة العرب ،

ووالي الصعيد ، رجل الادارة والدراية ، الذي ولاه فيما بعد الخليفة عثمان بن عفان على مصر جميعاً .

الحقيقة ان عمرو بن العاص الداهية في الشؤون السياسيه ، والحذق بالفطرة والمران ، اخذ يتطلع الى فتح افريقيا ، على حد تسمية المؤرخين القدامى لما يلي ليبيا اليوم من ارض وبلاد .

ان تاريخ ابن عبد الحكم الذي نقدم منه ما يتعلق بفتوح افريقيا والمغرب يثبت نتائج الحملات التي قام بها عمرو بن العاص على افريقيا ، وانه سار في الخيل حتى قدم برقة وصالح اهلها على ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها اليه جزية ، على ان يبيعوا من احبوا من ابنائهم في جزيتهم هذه ، وانه بعد ان تم له النصر سار ايضاً حتى نزل أطرابلس سنة اثنين وعشرين للهجرة (٦٤٢ م) فنزل على القبة التي على الشرف من شرقيها ، فحاصرها شهراً حتى تم للعرب الفتح .

اما فيما يتعلق بفتح ما يلي أطرابلس من البلاد ، فمن الثابت ان عمرو بن العاص الذي كان يتهيب لخوض معارك جديدة على طول الساحل والتوغل في البلاد : لم يكن يعلم بنتائج هذه الحروب ، وان كانت دلائل الانتصارات في برقة وأطرابلس ،

تؤكد ان النصر سوف يكون بجانب القوى العربية ، استشار الخليفة عمر بن الخطاب فيما يقول ابن الأبّار في كتابه الحلة السيراء[1] واستأذنه في ذلك مؤكداً له ان الله عز وجل فتح عليه أطرابلس وليس بينها وبين افريقيا الا تسعة ايام ، فان رأى امير المؤمنين ان يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل . « الا ان الخليفة كتب اليه ينهاه عن ذلك . »

هذا ، غير ان الحقيقة التاريخية تؤكد انه لما عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر ، وامر عليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح كما تقدم ، كان هذا يبعث المسلمين في جرائد الخيل ، كما كانوا يفعلون في ايام عمر فيصيبون من اطراف افريقيا ويغنمون فكتب الوالي الجديد في ذلك الى الخليفة عثمان بن عفان واخبره بقربها من حرز المسلمين واستأذنه في غزوها ، فأرسل اليه الخليفة عثمان ، الحرثَ بن الحكم مع نفر من الرجال وطلب اليه ان يكون الامر في مصر لعبدالله بن سعد بن ابي سرح .

عند قدوم هذه القوات العربية الجديدة الى مصر بقيادة الحرث بن الحكم خرج عامل البلاد الى افريقيا وكان مستقر

---

١ ــ انظر : الحلة السيراء لأبي عبدالله بن الابار دراسة وتحقيق الدكتور عبدالله الطباع ص : ٣٨٣ دار النشر للجامعيين ــ بيروت ١٩٦٢

سلطانها يومئذ في مدينة يقال لها قرطاجنة ، وكان عليها ملك يقال له جرجير، استخلفه هرقل ملك الروم، غير انه خلع هرقل وضرب الدنانير على وجه وكان سلطانه ما بين اطرابلس الى طنجه.

قلت عند قدوم هذه القوات العربية وخروجها مع عامل البلاد التحمت مع قوات جرجير وتولى عبد الله بن الزبير فيما يزعمون قتله ، وسرعان ما فرّ جيشه وبث عبدالله بن سعد بن ابي سرح السرايا وفرقها ، فأصابوا غنائم كثيرة ، فلما رأى ذلك رؤساء اهل افريقيا طلبوا الى القائد العربي ان يأخذ مالاً على ان يخرج من بلادهم ، فقبل منهم ذلك ورجع الى مصر ، ولم يول عليهم احداً ، ولم ينقذ بها قيرواناً ، وكانت سهم الفارس من هذه الغنائم فيما يحدث بعضهم ثلاثة آلاف دينار[1] .

ان القائد العربي ارسل عقبة بن نافع الى فتح افريقيا ، غير ان من الثابت قد ارسل عبدالله بن الزبير الذي كان يومئذ في الجيش وتولى قتل جرجير كما تشير الرواية العربية .

هذا ويبدو واضحاً من الاحداث التاريخية ان عبدالله بن

---

١ ــ انظر : تاريخ ابن عبد الحكم

سعد ارسل عبد الله بن الزبير الى الخليفة عثمان بن عفان ليعرض له ما تم للعرب من فتح[1] .

لقد اضحى من الثابت ان فتح العرب للمغرب لم يتم الا في زمن الخليفة يزيد بن معاوية بن ابي سفيان سنة ٦٢ هـ (٦٨١ م) على يد القائد عقبة بن نافع وان هذا الفتح وان كان الفتح الحقيقي لطول الساحل المغربي فمن المسلم به ان البلاد شهدت محاولات ثلاث .

كان اول ما فتح من البلاد طنجه ثم وليلى وهما اذ ذاك حاضرتا المغرب[2] ، ثم توالت الفتوح في انحاء البلاد ، وقد حالت مناعة بعضها وتحصينها من الاستيلاء عليها بعد ان حاولت كثير من القبائل ايقاف الزحف الاسلامي فجاهدها عقبة بن نافع جهاداً قوياً حتى استنزلها وانتصر عليها وأخضعها لحكمه ، ومن ثم تقدم الى السوس ففتح عاصمته تارودانت ، ثم مضى الى الساحل الاطلسي وعنده اطلق كلمته المشهورة : « اللهم اشهد اني بذلت

---

١ ــ انظر : كتاب النبوغ المغربي في الادب العربي لعبدالله كنون ، ج : ١ ص : ٣٨ دار الكتاب اللبناني ط الثانية ١٩٦١

٢ ــ انظر : الحلة السيراء لأبي عبدالله بن الابار تحقيق ودراسة الدكتور عبدالله الطباع ص : ٥٢٥ دار النشر للجامعيين ١٩٦٢

المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد اقاتل من كفر بك حتى لا يعبد احد دونك . »

ان موت عقبة بن نافع بعد ذلك ، وانتشار الفوضى ، واضطراب حبل الامن ، وما جر كل هذا على البلاد ، وارتداد بعض المسلمين هيأ لفتح ثان خلال خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧ ﻫ (٧٠٥ م) عندما قدم موسى بن نصير والياً على افريقيا، حيث قدر له بما أوتي من حنكة ومران سياسي ومقدرة ادارية ان يضبط الشؤون ، ويحارب المرتدين عن الاسلام، ويبذل قَصْره في حملهم على الرجوع اليه، وكان هذا الفتح الثاني للمغرب[1]

واما الفتح الثالث الحقيقي للمغرب فينسبه العلامة عبد الله كنون في كتابه « النبوغ المغربي في الادب العربي » الى دخول ادريس بن عبد الله اليه فاراً بنفسه من الرشيد الذي اضطهده وشيعته الخارجين عليه فكان دخوله الى البلاد فاتحة عصر جديد حيث قدر له سنة ١٧٢ ﻫ (٧٨٨ م) ان يؤسس الدولة الادريسية بمعونة اسحق بن عبد الحميد الاوربي والي مدينة وليلى ، وسعي مولاه راشد؛ وهي اول دولة عربية مستقلة في المغرب ثم اقتطاعها

---

١ ــ انظر : تاريخ ابن عبد الحكم الذي نحن بصدد نشره .

من جسم الخلافة العباسية ، وازالة كل سلطة دينية او سياسية كانت لها عليه .

ان الفتح العربي لشمال البلاد التي اكتسبت اسمها ، فيما يحدث عثمان بن صالح[1] من فارق بن بصير كان الطريق للجيوش العربية الزاحفة من المشرق العربي والمتجمعة على طول الساحل الافريقي الشمالي الى شبه جزيرة ايبرية .

اذا كان المغرب العربي لم يخضع للنفوذ الاسلامي ويكتسب الطابع العربي الا محاولات ثلاث فالواقع ايضاً ان الاندلس شاهد كثيراً من المعارك والحملات المختلفة تصدى لها نفر من خيرة الرجالات العربية وقادة الاسلام .

كانت حملة طريف مولى موسى بن نصير الحاكم العربي العام في القيروان سنة ٩٢ هـ (٧١٠ م) في اربعمائة راجل ومائة فارس على شبه جزيرة صغيرة هي اول نقطة في جنوب اوروبا مما يلي الساحل الافريقي اولى هذه المعارك التي يصفها المؤرخون العرب بأنها حملة استكشافية كللت بالظفر، لم يلبث بعد موسى بن نصير ان بعث مولى آخر له وذلك سنة ٧٣ هـ (٧١١ م) هو طارق بن زياد عامل مدينة طنجة في سبعة آلاف رجل من مسلمي المغرب

---

١ ـ انظر : تاريخ ابن عبد الحكم الذي نحن بصدد نشره

وجلهم من البربر بسفن قدمها يوليان أمير سبتة[1] ، فنزل بهم قرب جبل الفتح الذي عرف باسمه فيما بعد[2]

لا شك ان الحملة الثانية التي قام بها طارق بن زياد الى شبه جزيرة ايبرية ، والخطبة البليغة التي القاها في جموع الجيش تدل على طابعه العربي وعلى الصبغة التي صبغ بها العرب سكان افريقيا الشمالية من البربر .

قد لا نحاول هنا ان ندرس حقيقة الكلمة التي القاها القائد من حيث مجاراتها لاساليب العرب في الفصاحة والبلاغة وفق تحديد هاتين الكلمتين الاصطلاحي ، او ان نقدر قوة بيانه واسلوبه المسجع ذلك انني اميل الى ان هذه الخطبة قد وضعت في عصر التدوين المتأخر عن الفتح ، ولكن مما لا شك فيه ان القائد ابن زياد كان فصيحاً وبليغاً وانه استطاع باسلوبه وحسن عرضه للفكرات الرئيسية التي كانت غرض الفتح ان يلهب نفوس جنوده ويبث فيهم روح التضحية والاقدام فيعملون على تحقيق

---

١ ــ انظر : تاريخ افتتاح الاندلس لأبن القوطية القرطبي تحقيق وتقديم الدكتور عبدالله طباع ، المقدمة وما يليها وقصة هذه السفن ــ بيروت دار النشر للجامعيين ١٩٥٧

٢ ــ انظر : فتوح البلدان للبلاذري ، تحقيق عبدالله وعمر الطباع ، دار النشر للجامعيين بيروت ١٩٥٦ موضوع : فتح الاندلس

نصر سريع وحاسم في اعظم معركة واروع لقاء بلغ فيه الفتح العربي اقصى مداه .

على ضوء هذه الحقيقة ندرك مدى اهتمام القادة العرب في تعريب سكان الشمال الافريقي الذين الفوا جيش طارق بن زياد ، فمن الثابت ان العربية في المغرب سارت اول الامر بسير الاسلام ولو قدر لها منذ ذلك التاريخ ان تنمو وتزدهر لكان ازدهار الأدب العربي والبحوث العلمية والتاريخية والحضارية في الشمال الافريقي يواكب ازدهار الادب العربي في جميع الاقاليم العربية الاخرى .

لسنا هنا في صدد تأريخ حركة التعريب في هذا الصقع من العالم العربي، غير انه من الخير ان نشير الى ان نشاط هذه الحركة بدأ ايام حسان بن النعمان الغساني ، احد ولاة افريقيا في عهد عبد الملك بن مروان ، فقد دون الدواوين ، ورسّم اللغة العربية فجعلها لغة الدولة واوجب تعلمها على السكان ، ثم انزل الخليفة عمر ابن عبد العزيز بافريقيا والمغرب عشرة من الفقهاء يعلمون الناس القرآن الكريم ويفقهونهم امور الدين، وكذلك فعل موسى بن نصير ، فرتب عدداً من الفقهاء والقراء للمقصد ذاته[1] .

---

١ ـ انظر : النبوغ المغربي في الادب العربي لعبدالله كنون ـ دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٦١ ـ ج: ١ ص: ٤٢

كان من نتائج حركة التعليم والتعريب هذه ان استطاع طارق بن زياد البربري الاصل ، ان يلقي كلمة عربية بليغة في منزل الكلمة المحفوظة المتداولة ، وان يفهم الجيش كله عندما يريد فيعمل على تنفيذ أمره الذي هو رغبة الخليفة الوليد ابن عبد الملك .

من الثابت ان طارق بن زياد تلقى المزيد من الامدادات عقب المعركة الأولى على ارض شبه الجزيرة فبلغ عدد جيشه اثني عشر الف مقاتل جلهم كما اسلفت من البربر مسلمي المغرب، خاض بهم عند مصب وادي بكة على شاطىء بحيرة جاندا معركة فاصلة طاحنة ، قضت على الجيش القوطي وعلى لذريق الذي لم تعرف اخباره من بعد ، وهكذا حققت هذه القوى الضئيلة بالنسبة لعدد الجيش القوطي (٥٠ الف مقاتل) نصراً مؤزراً .

يعتبر الخبراء في شؤون الحرب ان النصر الذي حققه القائد العربي على ارض اوروبا كان نصراً صاعقاً ، اذ تمكنت القوات العربية ان تحتل كثيراً من المواقع والبلاد، دون ان تلقى مقاومة تذكر الاّ في بعض المدن التي تحصن فيها فرسان القوط ، غير ان موسى بن نصير تمكن مع ذلك من الزحف نحو الشمال واحتل طليطلة قاعدة البلاد يومئذ بعد ان مرّ باستجة وانفذ من هناك

جيشاً الى اشبيلية في الجنوب ، القاعدة الهامة التي لم يتعرض لها من قبل لعوامل عسكرية واستراتيجية ، وفي هذه الاثنـاء سيّر مغيثاً الرومي في سبعمائة فارس نحو قرطبة ، التي صمدت ما يقارب من شهرين ، ثم خضعت له وأصبحت فيما بعد قاعدة الحكم العربي في شبه الجزيرة .

لا غرو ان انتصار العرب في افريقيـا كان محققاً بفضل العوامل التي كان يتمتع بهـا الجيش الى جانب ان هذه القوى لم تنطلق يوماً من مركزها إلاّ لتستقر في البلاد التي قصدتها، ذلك ان زحفها كان يرسم وفق مفهوم حياتي ، لم تكن تعرفه الجيوش الاخرى ، فالعربي يوم ينطلق محارباً انما كان ينطلق مع عشيرته ومتاعه حيث أن عائلته كانت تسهل له سبل الحياة في إقامته الجديدة ، وتشد أزره ، وتدفع به الى النصر .

إن هذه العوامل التي مكنت العرب من كل المعـارك التي خاضتهـا جيوشها النظامية أساءت الى واقعهم في الاندلس يوم اعقب موسى بن نصير فتح طارق بن زياد لأسباب محض شخصية – كما يؤكدها المؤرخون – بزحف آخر على شبه الجزيرة .

لا شك أن الطريق التي سلكها موسى بن نصير مع عشرة آلاف [1] من العرب وأهل الشام خاصة كانت غير الطريق التي

١ – انظر : تاريخ الطبري ج ٢ ص : ١٢٥٣

سلكها مولاه طارق فهي طريق مدن شذونة ، دقرمونة واشبيلية .

قلت أن موسى بن نصير أعقب فتح طارق بن زياد بزحف آخر على الأندلس ، وإن هذا العدد من أهل الشام والعرب كان جلهم من القبائل التي فرقتها العصبية ، والتي كانت كل واحدة منها تلتف برايتها وشعاراتها كما يشير الرازي في كتابه الرايات .

إن هذه القبائل التي نزلت في أصقاع مختلفة من البلاد لم تكن لتعمل في القطاع العام ، وإنما كان هدفها تحقيق أغراض حياتية موضعية ، تكشف الأمر عنها يوم ضعفت سلطة الدولة الأموية في الأندلس ، وأخذ الاسبان من بعد في استرجاع البلاد فقد ظهر خطرها على المسرح السياسي وكان ذلك سبباً رئيسياً من أسباب انهيار الحكم العربي في الأندلس .

بعد هذا الفتح الأول للأندلس على يد طارق بن زياد ، والفتح الثاني لمناطق أخرى على يد موسى بن نصير ، وان كانت المعركة واحدة والفتح واحد يصح أن نعتبر دخول عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك المعروف بالداخل سنة ١٣٨ هـ (٧٧٥ م) فتحاً جديداً لشبه الجزيرة التي لم تعرف خلال حكم الولاة الأمويين مظهراً من مظاهر الحياة الفكرية [1] ، والتي

---

١ ـ انظر : تاريخ الفكر الاندلسي ، انخل كونثالث بالنسيا ترجمة الدكتور حسين مؤنس ـ القاهرة

شهدت معارك كثيرة بين الداخل عبد الرحمن وبين عبد الرحمن بن يوسف الفهري آخر وال أموي .

الحقيقة أن الواقع التاريخي في الأندلس يثبت أن الدولة العربية لم تدرك حياة الاستقرار السياسي والاداري وتبلغ نوعاً من التخطيط إلاّ في عهد عبدالرحمن الثالث الذي نودي به خليفة سنة ٣١٦ ﻫ (٩٢٧ م) وانها قبل هذا العهد شهدت كثيراً من الصراع الداخلي ، وانها لم تنس معركة الربض وجلاء أهله ، هذه المعركة التي كانت سبباً من أسباب تنازل الحكم الثاني .

ليس من شك أن فتح العرب للأندلس ، البقعة الساحرة الضاحكة من الجنوب الغربي لاوروبا ، والمطوقة بالبحر والغارقة فيه، لولا تلك الجبال التي تشدها من الشمال الى الأرض ـ كان حدثاً تاريخياً تلاقى فيه الشرق والغرب على عتبة الأرض الخضراء ، وقدر فيه لحضارة العالم القديم أن تجد سبيلها من بعد الى قلب اوربا ، وتتفاعل وتقيم علاقات ثقافية ، واجتماعية ، وسياسية وأن تعمل على بناء حضارة ذات مفاهيم انسانية، يعمل الفكر الحديث على إبراز حقيقتها ودراسة اهميتها وتحقيق خصائصها ودوافع استمرارها .

على الرغم من هذه النتائج الخطيرة التي كانت لهذا الفتح

العربي بالنسبة للعالم لم يحفل الأندلس العربي بتاريخ هذه الظاهرة السياسية إلا في عهد الخلافة الأموية في الأندلس وبعد حقبة من الاستقرار والهدوء، ومن هنا كانت أكثر هذه المظاهر التاريخية تسجل وفق ميول السلطة الحاكمة .

مع كل ما في هذا الأمر من حقيقة نجد أن بعض المؤرخين المتأخرين عن عهد الدولة الاموية في الأندلس وفي طليعتهم أبو عبد الله بن الأبّار القضاعي البلنسي وفق الى اثبات كثير من الأمور التي ساعدت على تصوير نتائج الفتح العربي بشبه الجزيرة وما رافقه من استعدادات عسكرية .

لا غرو أن الطريق التى سلكها العرب الى أفريقيا بعد احتلالهم لمصر، وبرقة، واطرابلس هي الطريق التي مُهدت أمام الحضارة العربية وحضارات العالم القديم التي تفاعلت في الشرق البعيد، حتى قدر لها أن تتفاعل في طليطلة النافذة المشرعة على سهول وآكام فرنسا الجنوبية، المدخل الطبيعي لمدنية العرب وحضاراتهم الى اوروبا التي قدر لها أن تتبوأ عرش العالم في مطلع هذا القرن، وتخضع إمكاناته العلمية والمادية لصالح شعوبها .

إن كتاب ابن عبد الحكم، عبدالرحمن بن عبدالله المتوفى سنة ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) أقدم مؤلف عربي اتصلت بنا مؤلفاته، والذي

تحدر من عائلة مصرية شريفة كانت لها زعامة المدرسة المالكية في مصر ، إذ كان أبوه عبد الله مساعداً للقاضي في فحص الشهود ورئيس المدرسة .

قلت أن كتاب ابن عبدالحكم الموسوم بفتوح مصر والمغرب والأندلس ، والذي نقدم اليوم منه ما يتعلق بأفريقيا والأندلس يعتبر من أهم الوثائق التاريخية للفتح العربي وأقدمها على الاطلاق ، وقد نحا فيه المؤلف نحو الاسناد، فجاء بالنسبه الى الدراسات الحديثة مطولاً مملًا ؛ إلا أنه في الواقع قد حفظ لنا أهم أنباء الفتح لهذه البلاد. وما رافقه من حوادث وأحداث هي المرجع الصحيح لتأريخ هذا الفتح العظيم الذي كان سبباً لاتصال العالم العربي بأوروبا، وعليه ترتب نتائج ذات اهمية عظمى بالنسبة الى الحياة الفكرية على اختلاف مظاهرها في الأندلس وفي الشمال الافريقي .

ليس ثمة من فائدة أن نحدد هنا قيمة النتاج الفكري في الشمال الأفريقي والأندلس بعد أن قررنا ذلك في دراستنا لكتاب الحلة السيراء لأبي عبدالله بن الأبّار التي ظهرت مؤخراً في بيروت عن دار النشر للجامعيين سنة ١٩٦٢، غير أن من الطبيعي أن نقرر اهمية تاريخ ابن عبد الحكم في تحديد اهمية الفتح العربي لمصر ،

والمغرب والأندلس وما ترتب على ذلك من مظاهر علمية وتاريخية وحضارية .

إن هذه القيمة العلمية للكتـاب هي التي دفعتنا الى تحقيقه ونشره من جديد محددين كثيراً من مواقع البلاد وما يتصل بها من أمور تاريخية لم يسبق لأحد من الناشرين أو الدارسين ان اهتموا بها ، ومن هنا يبدو قيمة العمل الجديد في تبسيطه هذه الظواهر وشرحهـا بعد أن أسهبنا في تأريخ الفتح عـامة وكأنما عرضنا للكتاب جمـلة وتفصيلاً . والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

بيروت ١٩٦٣/١٠/٢٤

الدكتور عبد الله أنيس الطباع

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استعين

وصلى الله على محمد نبيه الكريم

ذِكْرُ فَتْحِ بَرْقَة

قال وكان البربر[1] بفلسطين وكان ملكهم جالوت[2] فلما قتله

---

١ - البربر (Barbares) : اسم اطلقه اليونان ثم الرومـــان على الاجانب من الأمم . والبربر ايضـــاً الشعوب الجرمانية ، والمغوليـــة التي اجتـــاحت الامبراطورية في القرن الثالث ، والرابع ، والخامس اما البربر(Berbéres) سكان بلاد البربر في افريقيا الشمالية الاصليين . مـــن الجنس الابيض . لا يعرف من اين نزحوا ، يعيشون اليوم في جبال اطلس . اختلطوا بالفينيقيين على عهد قرطاجة ثم بالرومان ، ثم بالقبائل والجيوش العربيـــة بعد الفتح الاسلامي . يرجح العلماء ان لغتهم تنتمي الى الفرع السامي الحامي . كانت ديانتهم على عهد الفينيقيين وثنية . بلاد البربر : هي مناطق افريقيا الشماليـــة التي قطنها البربر . او : المغرب الادنى ، والاوسط ، والاقصى ، من برقة شرقاً الى البحر المحيط غرباً ثم بلاد السودان جنوباً .

٢ ـ جالوت : هو جليات الوارد ذكره في الكتاب المقدس ، ويجمع الرواة على انه جبار تطوع لخدمة الفلسطينيين. اتكل على قوته وقامته وتدجج بزرد الحديد وطلب للمبارزة واحداً من بني اسرائيل ايا كان . فلم يجسر على مقاومتـــه الا داود النبي ، وهو لا يزال في سن المراهقة . فنازله مسلحاً بعصا وبمقلاع فاصابه بحجر وقتله .

داود عليه السلام خرج البربر متوجهين الي المغرب حتى انتهوا الى لوبية[1] ومراقية[2] وهما كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من السماء[3] ولا ينالها النيل فتفرقوا هنالك فتقدمت زناتة ومغيلة[4] الى المغرب وسكنوا الجبال وتقدمت لواتة[5] فسكنت ارض انطابلس وهي برقة وتفرقت في هذا المغرب وانتشروا فيه حتى بلغوا السوس[6] ، ونزلت هوارة مدينة لبْدة[7] ، ونزلت نفوسة الى مدينة سَبْرَت[8] وجلا من كان بها من الروم من اجل

---

١ ــ لوبيه : مدينة بين الاسكندرية وبرقــة .

٢ ــ مراقية ، بلد يلي الاسكندرية في الطريق الى لوبية .

٣ ــ جاءت في المخطوط ماء .

٤ ــ زناته : اسم اطلقه مؤرخو العرب في القرون الوسطى على احدى مجموعتي الشعوب الكبرى في بلاد البربر في المغرب ، كان اكثرهم اهل وبر ، امــا المجموعة الثانية فاسمها الصنهاجة واكثرها اهل حضر من سكان الساحل .

٤ ــ مغيلة : اسم قبيلة بربريــة .

٥ ــ لواتة : قبيلة بربريــة .

٦ ــ السوس : وهي تعرف بالسوس الاقصى بــلد جنوبي مراكش قاعدتهــا تارودانت . منها الوزير العام المختار السوسي .

٧ ــ لبدة : مدينة بين برقة وافريقيا ، وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة ، وهــو حصن من بنيان الأول .

٨ ــ يؤكد ياقوت في معجم البلدان انه وجــد ابن عبد الحكم (مؤلف هــذا الكتاب) قد ضبط اسم المدينة كذلك « سَبرَتُ » وانه يؤكد: ان اطرابلس اسم لكورة ومدينتها نبارة ، وسبرت : السوق القديم

ذلك ، واقام الافارق وكانوا خدماً للروم على صلح يؤدونه الى من غلب على بلادهم .

فسار عمرو بن العاص في الخيل [1] حتى قدم برقة فصالح اهلها على ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها اليه جزية على ان يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم .

حدثنا عبدالملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد قال: «كتب عمرو بن العاص على لواتة من البربر في شرطه عليهم ان عليكم ان تبيعوا ابناءكم وبناتكم فيما عليكم من الجزية . »

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة ان انطابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاص .

حدثنا عبدالملك بن مسلمة ؛ حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عبدالله الحضرمي ان ابن دياس حين ولي انطابلس [2] أتاه بكتاب عهدهم . حدثنا عبدالملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد ابن عبدالله الحضرمي عن أبي قنان أيوب بن أبي العالية الحضرمي

---

١ ــ جاءت في آ : الحبل . وفي ب الجبل .
٢ ــ أنْطابُلسُ : معناه بالروسية خمس مدن ؛ وهي مدينة بين الاسكندرية وبرقة ؛ وقد ذكر أمرها في برقة .

عن أبيه قال : « سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول لأهل أنطابلس عهد يوفى لهم به . »

قال « ثم رجع الى حديث عثمان بن صالح وغيره ، قال ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج ، انما كانوا يبعثون بالجزية اذا جاء وقتها . ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة[1] وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين » .

ذِكْرُ أطرابلس

قال « ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس في سنة اثنتين وعشرين[2] ، حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير ، عن الليث ابن سعد قال : « غزا عمرو بن العاص أطرابلس في سنة ثلاث وعشرين[2] . ثم رجع الى حديث عثمان ، فنزل على القبة التي على الشرف

---

١ ـ زَوِيلَة : بلدان ، احدهما زويلة السودان . بين بلاد السودان وافريقيا ، وزويلة مدينة غير مسورة في وسط الصحراء ، وهي اول حدود بلاد السودان ، وبها نخيل وبساط للزرع . وفي هذه المدينة قبر دِعبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور ، قال بكر بن حماد :

الموت غادر دِعبلاً بزويلة   في أرض برقة أحمد بن خصيب

٢ ـ ٢٢ هـ (٦٤٢ م)   ٢٣ هـ (٦٤٣ م)

من شرقيها فحاصرها شهراً لا يقدر منهم على شيء، فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيداً في سبعة نفر، فمضوا غربي المدينة حتى أمعَنوا عن العسكر، ثم رجعوا فأصابهم الحر، فأَخذوا على ضفة البَحر، وكان البَحر لاصقاً بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور، وكانت سفن الروم شارعة في مرساها الى بيوتهم فنظر المدلجي وأصحابه فاذا البَحر قد غاض من ناحية المدينة ووجدوا مسلكاً اليها من الموضع الذي غاض [1] منه البحر، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم، وأبصر عمرو وأصحابه السلة [2] في جوف المدينة فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم، فلم تفلت الروم إلا بما خف لهم من مراكبهم، وغنم عمرو ما كان في المدينة.

وكان من بسبرت [3] متحصنين (واسمها نبارة وسبرت السوق

---

١ ـ جاءت في نسخة ج : انحسر . وفي غيرها حسر . وغاض يغيض غيضاً ومغاضاً وتغيّض وانغاض الماء : نقص او غار او نضب .

٢ ـ جاءت في نسخة غيرها : الستة . السّلة : السرقة الخفيفة . السِّل العيب في الحوض، الجونة، يقال اتيناهم عند السّلة بالفتح على المرّة و « عند السِلّة» بالكسر على النوع اي عند استلال السيوف.

٣ ـ تقدم شرحها .

القديم. وانما نقله الى نبارة عبد الرحمن بن حبيب سنة إحدى وثلثين[1]) فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة أطرابلس وأنه لم[2] يصنع فيهم شيئاً ولا طاقة له بهم، امنوا فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة أطرابلس جرد خيلًا كثيفة من ليلته، وأمرهم بسرعة السير فصبحت[3] خيله مدينة سبرت، وقد غفلوا وقد فتحوا[4] أبوابهم لتسرح ماشيتهم فدخلوها فلم ينج منهم أحد واحتوى[5] عمرو على ما فيها ورجعوا الى عمرو.

حدثنا أبو الاسود النضر بن عبد الجبار، حدثنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد: «انه سمع أبا تميم الجيشاني يقول: غزونا مع عمرو بن العاص غزوة أطرابلس، فجمعنا المجلس ومعنا فيه هبيب ابن مغفل، فذكرنا قضاء دين رمضان فقال هبيب بن مغفل لا يفرق وقال عمرو بن العاص لا بأس أن يفرق إذا احصيت العدة.»

---

١ ــ انظر معجم البلدان لياقوت طبعة بيروت موضوع سبرت.
٢ ــ وردت وانه «لم يصنع» والأصح «لن يصنع»
٣ ــ صَبَّحَ صَبْحاً القومَ: اتاهم صباحا.
٤ ــ هكذا وردت والأصح «وقد غفلوا وفتحوا ابوابهم»
٥ ــ وفي احدى النسخ اضيفت، واحتوى اصحاب عمرو وذلك اقوم للمعني.

ذكر استئذان عمرو بن العاص عمر بن الخطاب في غزوة إفريقيا

وأراد عمرو أن يوجه الى المغرب ، فكتب الى عمر بن الخطاب[1] كما حدثنا عبدالملك بن مسلمة ، عن أبي لهيعة ، عن ابن هبيرة ، عن أبى تميم الجيشاني ، « ان الله قد فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين افريقيا[2] إلا تسعة أيام ، فان رأى أمير المؤمنين ان يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل » ، فكتب اليه عمر : «لا، انها ليست بافريقيا ، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت . »

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل ، عن مرة بن ليشرح المعافري قال : سمعت عمر بن

---

١ ــ انظر الحلة السيراء لأبي عبدالله بن الأبّار القضاعي تحقيق الدكتور عبدالله انيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ١٩٦٢

٢ يبدو واضحاً من النص ان كلمة افريقيا كانت تطلق على البلاد التي تلي طرابلس الغرب اليوم اي ابتداء من تونس حتى اقصى المغرب ، مع انه اصبح من المقرر ان افريقيا اليوم تعني القارة اولا ، وافريقيا الشمالية تعني الحدود الممتدة من قناة سويس غرباً حتى طنجة ، وان لم يدرج المؤرخون على هذا التحديد .

الخطاب يقول افريقيا المفرقة ثلاث مرات لا أوجه اليها أحداً ما مقلت[1] عيني الماء .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحرث بن يزيد ، عن علي بن رباح، عن مسعود بن الأسود صاحب رسول الله (صلعم) وكان بايع تحت الشجرة ، أنه استأذن عمر بن الخطاب في غزو افريقيا فقال عمر : « لا ، ان افريقيا غادرة مغدور بها . »

ذكر فتح إفريقيا

ثم رجع الى حديث عثمان ، وغيره قال : « فلما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر ، وأمّر عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، كان يبعث المسلمين في جرائد[2] الخيل ، كما كانوا يفعلون[3] في أيام[4] عمرو فيصيبون من أطراف إفريقيا ، ويغنمون . فكتب في ذلك عبدالله بن سعد الى عثمان وأخبره بقربها من حرز[5] المسلمين واستأذنه في غزوها .

---

١ ــ مقله ــ مقلا . نظر اليه ، يقال « مقلته عيني » وما مقلت عيناي مثله .

٢ ــ الجريدة ج جرائد : جماعة الخيل لا رجّالة فيها وقد جرّدت عن سواها لوجه .

٣ ــ جاءت في نسخة ث يقطعون .

٤ ــ جاءت في ج وح في أمرة .

٥ ــ جاءت في ا جزر . وفي ب جوار وفي (ث) جور وفي (د) جور والحرز ج احراز : وهو كل ما أحرز .

فندب عثمان الناس لغزوها بعد المشورة منه في ذلك ، فلما اجتمع الناس أمر عليهم عثمان الحرث بن الحكم إلى أن يقدموا على عبدالله بن سعد[1] مصر فيكون اليه الامر . فخرج عبد الله ابن سعد اليها وكان مستقر سلطان إفريقيا يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة[2] وكان عليها ملك يقال له جرجير[3] كان هرقل قد استخلفه ، فخلع هرقل ، وضرب الدنانير على وجهه ، وكان سلطانه ما بين أطرابلس إلى طنجة . حدثنا عبدالملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة قال : « كان هرقل استخلف جرجير فخلعه . » قال : « ثم رجع الى حديث عثمان بن صالح وغيره ، قال فلقيه جرجير فقاتله فقتله الله . وكان الذي تولى قتله فيما يزعمون عبدالله بن

---

١ ـ هو عبدالله بن سعد بن ابي سرح : صحابي ومن زعماء الامويين . منشيء اول عمارة بحرية في الاسلام ، اشترك في فتح مصر تحت قيادة عمرو بن العاص . تولى حكم الصعيد وادارة بيت المال بساعد معاوية في حملتـه على قبرص . فتح بلاد القيروان . انتصر على الاسطول البيزنطي في وقعة ذات السواري (٦٥١) م .

٢ ـ هكذا وردت والأصح على اغلب الظن انها مدينة قرطاجة لا قرطاجنـة ، ذلك ان ديدون الفينيقية أخت بجاليون ملك صور هي التي اسست قرطاجة قرب تونس اما قرطاجنة المرفأ الاسباني على شاطيء المتوسط فقد اسسها الفينيقيون سنة ٢٢٣ ق. م. والعرب قصدوا الشمال الافريقي قبـل غزو شبه جزيرة ايبريـا .

٣ ـ جاءت في (ج) و (د) ولقي عبدالله جرجير .

الزبير ، وهرب جيش جرجير[1] ، فبث عبد الله بن سعد السرايا وفرقها ، فأصابوا غنائم كثيرة ، فلما رأى ذلك رؤساء أهل إفريقيا طلبوا الي عبدالله بن سعد أن يأخذ منهم مالاً على ان يخرج من بلادهم فقبل منهم ذلك ورجع الى مصر ، ولم يول عليهم أحداً ولم يتخذ بها قيروانا[2] . فكانت غنائم المسلمين يومئذ كما حدثنا عبدالملك بن مسلمة ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الاسود ، عن أبي أويس ، قال أبو الاسود مولى لنا ، قال غزونا مع عبدالله بن سعد إفريقيا فقسم بيننا الغنائم بعد إخراج الخمس ، فبلغ سهم الفارس ثلثة آلاف دينار ؛ للفرس الفا دينار ولفارسه الف دينار . فقسم لرجل من الجيش توفي بذات الحمّام[3] فدفع الى أهله بعد موته

---

١ ــ جرجير : انظر كتاب الحلة السيراء ، دار النشر للجامعيين بيروت ١٩٦٢ للمحقق ص ٣٨٦ . اذ يقول ابن الأبّار : « ان عبدالله بن الزبير غزا افريقيا مع ابن ابي سرح في خلافة عثمان ، وانه هو الذي تولى قتل جرجير ملكها واحتز رأسه وجعله في رمح وكبّر ، فانهزم الروم . »

٢ ــ القيروان ج قيروانات : الجماعة من الخيل (معظم الكتيبة) القافلة وهي معربة عن كروان الفارسية . Garnison .

٣ ــ ذات الحُمام موضع بين مكة والمدينة ، والمقصود به ذات الحُمّام : بلد بين الاسكندرية وافريقيا له ذكر في الفتوح ، وهو الى افريقيا اقرب انظر معجم البلدان لياقوت ط : دار بيروت ودار صادر . ويقول الاستاذ محمد الفاسي في كتابه التعريف بالمغرب معهد الدراسات العربية العالية ـ ١٩٦١ تطلق لفظة المغرب على كل البلاد العربية التي تمتد من الحدود المصرية الليبية =

الف دينار . حدثنا يوسف بن عدي ، حدثنا ابن المبارك عن حيوة[1] بن شريح ، عن عبد الرحمن بن أبي هلال ، عن أبي الاسود أن أبا أوس مولى لهم قديماً حدثه : « ان رجلاً خرج في غزوة إفريقيا فمات بذات الحمّام فقسم له فكان سهمه يومئذ الف دينار . » حدثنا عبدالملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد ، عن غير واحد : « ان عبدالله بن سعد غزا إفريقيا وقتل جرجير فأصاب الفارس يومئذ ثلثة الاف دينار ، والراجل الف دينار . قال غير الليث من مشائخ أهل مصر في كل دينار دينار وربع .

قال ، ثم رجع الى حديث عثمان بن صالح وغيره ، قال فكان جيش عبدالله بن سعد ذلك عشرين الفا . حدثنا عبد الملك بن

= الى المحيط الاطلسي ــ وقد كان يدخل تحت هذا الاطلاق أيضاً صقلية اي جنوبي ايطاليا ، والبلاد الاندلسية بما فيها اسبانيا والبرتغال وكل بقعة حلها المسلمون في اوروبا الغربية .

ثم اذا ارادوا تعيين جزء من هذا الكل قالوا برقة للقسم للشرقي من ليبيــة الحالية وطرابلس للقسم الغربي منهــا ، وقالوا افريقيا لتونس الحالية مع الناحية الشرقية من القطر الجزائري وقالوا لما عدى ذلك من بلاد افريقيــا الشمالية « المغرب » وسموا اسبانيا والبرتغال والاندلس .

فهذه البلد على وجه هذا التحديد تقع في تونس او في الناحية الشرقية مــن الجزائــر .

١ ــ هكذا وردت في المخطوط والأصح ان تكتب حياة بالألف لا بالواو .

مسلمة ، عن ابن لهيعة قال : وكانت مهرة في غزوة عبدالله بن سعد وحدهم ستمائة رجل ، وغنث من الأزد سبعمائة رجل وميدعان سبعمائة وميدعان من الأزد .

وكان على مقاسمها كما حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير ، عن ابن لهيعة، عن الحرث بن يزيد، عن أزهر بن يزيد الغطيفي شريك ابن سمى فباع ابن زرارة المديني تبراً بذهب ، بعضه أفضل من بعض ، ثم لقيه المقداد بن الاسود فذكر ذلك له فقال المقداد : « ان هذا لا يصلح . » فقال له ابن زرارة فضلها لك هبة قال شريك ما أحب ان لي ما تحوز واني أرجع به .

وكانت ابنة جرجير[1] كما حدثنا أبو عبدالله بن عبدالحكم ، وسعيد بن عفير ؛ قد صارت لرجل من الانصار في سهمه ، فأقبل بها منصرفاً قد حملها على بعير له فجعل يرتجز :

يابْنَةَ جَرْجير تمشي عُقْبَتك　　　ان عليكِ بالحجاز ربّتك

لَتَحْمِلَنَّ من قُبَاء قِرْبَتك

قالت : « ما يقول هذا الكلب ؟ » . فاخبرت بذلك فألقت

---

١ ـ تقدم ذكره وهو الذي يعرف بـ Gregoire . انظر : التعريف بالمغرب للاستاذ محمد الفاسي ص ٣٨ . منشورات جامعة الدول العربية ١٩٦١

نفسها عن البعير ، الذي كانت عليه فاندقت عنقها فماتت .

حدثنا عبدالملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة : « ان عبدالله ابن سعد ، هو الذي افتتح إفريقيا ونقل[1] هو الذي افترع[2] إفريقيا ، وانه كان يوضع بين يديه الكوم من الورق فيقال للافارقة من أين لكم هذا قال : « فجعل إنسان منهم يدور كالذي يلتمس الشيء حتى وجد زيتونة فجاء بها اليه فقال من هذا نصيب الورق قال وكيف قال ان الروم ليس عندهم زيتون فكانوا يأتوننا فيشترون منا الزيت ، فنأخذ هذا الورق منهم . وانما سموا الافارقة فيما حدثنا عثمان بن صالح ، عن ابن لهيعة وغيره ، أنهم من ولد فارق بن بيصر ، وكان فارق قد حاز لنفسه من الارض ما بين برقة إلى إفريقيا ، فبالأفارقة سميت إفريقيا .

حدثنا أبو[3] عبدالله بن عبدالحكم ، حدثنا بكر بن مضر ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن قيس بن أبي يزيد ، عن الجلاس بن عامر ، عن عبدالله بن أبي ربيعة قال صلى عبدالله بن سعد[4] للناس

---

١ ـ جاءت في نسخة ب وث ويقال .

٢ ـ افترع : فتح .

٣ ـ جاءت في الأصل ابي .

٤ ـ تقدمت ترجمته .

بافريقيا المغرب، فلمّا صلى ركعتين سمع جلبة في المسجد، فراعهم ذلك وظنوا أنهم العدو فقطع الصلاة، فلما لم ير شيئاً خطب الناس ثم قال: ان هذه الصلاة اختصرت، ثم أمر مؤذنه فأقام الصلاة ثم أعادها.

قال وبعث عبدالله بن سعد، كما حدثنا عبدالملك بن مسلمة، عن ابن لهيعة بالفتح عقبة بن نافع. ويقال بل عبدالله بن الزبير وذلك أصح[1]. وسار — زعموا — عبدالله بن الزبير على راحلته

---

١ – من الثابت ان المسلمين حاولوا مرات ثلاث غزو افريقيا، الاولى بقيادة عبدالله بن العباس سنة ٢٧هـ و ٦٤٧ م» بعد ان سبق لعمرو بن العاص ان غزا طرابلس سنة ٢٣ هـ «١٤٣» م.
الغزوة الثانية تمت سنة ٤٠ هـ «٦٦٠ م» بقيادة معاوية بن حُديج. واما الغزوة الثالثة فقد تمت سنة ٤٦ هـ «٦٦٦» م بقيادة معاوية بن خديج ايضاً.
الى جانب هذه الغزوات كانت هناك بعض الحملات لاحتلال بعض الاماكن كحملة عقبة بن نافع التي تمت سنة ٤٦ هـ «٦٦٦ م» ويقول في ذلك ابن الأبّار: «في كتابه الحلة السيراء ص ٤٦٢ اغزاه معاوية بن ابي سفيان سنة ٤٦ هـ، فخرج الى افريقيا في عشرة الآف من المسلمين فاختط مدينة القيروان، واسلف آثاراً كريمة، وكان من خيار الولاة والامراء مستجاب الدعوة، ثم صرف، واعيد ثانية في سنة ٦٢ هـ ٦٨١ م فقتلته البربر ومن معه بمقربة من تهوزة في سنة ٦٣ هـ ٦٨٢ م، وقبره هناك يتبرك به. الى اليوم.» غير انه من الثابت ايضاً ان عبدالله بن الزبير كان قد غزا افريقيا مع ابن أبي سرح في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. «وانه هو الذي قتل جرجير.» انظر: كتاب الحلة السيراء، دار النشر للجامعيين ١٩٦٢ ص ٣٨٦ وما يليها.

إلى المدينة من إفريقيا عشرين ليلة. حدثنا سعيد بن عفير، حدثني المنذر بن عبدالله الحزامي عن هشام بن عروة أن عبدالله بن سعد، بعث عبدالله بن الزبير بفتح إفريقيا فدخل على عثمان فجعل يخبره بلقائهم العدو، وما كان في تلك الغزوة، فاعجب عثمان فقال له: هل تستطيع ان تخبر الناس بمثل هذا؟ قال نعم، فأخذ بيده حتى انتهى به الى المنبر، ثم قال له أقصص عليهم ما أخبرتني فتلكأ عبدالله فأخذ الزبير[1] قبضة حصباء وهمّ أن يحصبه بها، ثم تكلم كلاماً أعجبهم فكان الزبير يقول: «إذا أراد أحدكم ان يتزوج المرأة فلينظر إلى أبيها وأخيها، فلن يلبث أن يرى ربيطة[2] منها ببابه لما كان يرى من شبه عبدالله بن الزبير بأبي بكر[3].

حدثنا عبدالملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد، قال: «بعث عبدالله بن سعد عبدالله بن الزبير، وكان في الجيش بالفتح، فقدم على عثمان بن عفان فبدأ به قبل أن يأتي أباه الزبير بن العوّام، فخرج عثمان إلى المسجد ومعه ابن الزبير، فحمد

---

١ ـ هكذا وردت واعتقد انه عثمان حتى يستقيم المعنى.

٢ ـ الربيط: المربوط، الربيطة: ما ارتبط من الدّواب،، يقال «دابة ربيطة على خلاف القياس، ودابّة ربيط.

٣ ـ عبدالله بن الزبير، هو ابن الزبير بن العوّام وامه اسمى بنت ابي بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو جدّ عبدالله بن الزبير.

الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر الذي أبلى الله المسلمين على يدي عبدالله بن سعد ، ثم قال قم يا عبدالله بن الزبير فحدث الناس بالذي شهدت قال الزبير : « فوجدت في نفسي على عثمان ، ويقيم غلاماً من الغلمان لا يبلغ الذي يحق عليه ، والذي يحمل به ، فقام فتكلم فأبلغ وأصاب فما فرغ حتى ملأهم عجباً ، ثم نزل عثمان وقام عبدالله بن الزبير الى أبيه فأخذ أبوه بيده وقال : إذا أردت أن تتزوج امرأة فانظر إلى أبيها وأخيها قبل أن تتزوجها ، كأنه يشبهه ببلاغة أبي بكر الصديق جده . قال وحدثنيه ابن لهيعه عن يزيد بن أبي حبيب ، وقد قيل أن عبدالله بن سعد قد كان وجه مروان بن الحكم إلى عثمان من إفريقيا فلا أدري في الفتح أم بعده والله أعلم .

حدثنا عبدالله بن معشر الايلي : « ان مروان بن الحكم أقبل من إفريقيا أرسله عبدالله بن سعد ووجّه معه رجلًا من العرب من لخم[1] أو جذام شك عبدالرحمن[2] ، قال فسرنا حتى إذا كنا

---

١ ـ لخم بنو : من قبائل العرب . اصلهم من اليمن في القرن الثاني والاول قبل الهجرة ، رحل بعضهم الى شمالي جزيرة العرب والى بلاد سوريا وفلسطين والعراق حيث شادوا مملكة لخم في الحيرة . كانوا اخصاماً لغسان . ثم اعتنقوا الاسلام .

٢ ـ لعل عبد الرحمن الذي شك في الأمر هنا هو المؤلف عبد الرحمن بن عبدالله ابن عبد الحكم .

ببعض الطريق قَرُب الليل ، فقال لي صاحبي : « هل لك إلى صديق لي ها هنا ؟ » قلت ما شئت. قال فعدل بي عن الطريق حتى أتى إلى دير ، وإذا سلسلة معلقة فأخذ السلسلة فحركها ، وكان أعلم مني فأشرف علينا رجل فلما رآنا فتح الباب فدخلنا فلم يتكلم حتى طرح لي فراشاً ولصاحبي فراشاً .

ثم أقبل على صاحبي يكلمه بلسانه فراطنه[1] حتى سؤت ظناً ثم أقبل عليّ فقال أي شيء قرابتك من خليفتهم قلت ابن عمه. قال هل أحد أقرب اليه منك ؟ قلت لا ، إلا أن يكون ولده . قال صاحب الارض المقدسة أنت ، قلت لا ، قال فان استطعت أن تكون هو فافعل، ثم قال أريد أن أخبرك بشيء وأخاف أن تضعف عنه ، قال[2] قلت أَلي تقول هذا وأنا أنا ، ثم أقبل على صاحبي فراطنه ، ثم أقبل علي فسايلني[3] عن مثل ذلك ، وأجبته بمثل جوابي فقال انصاحبك مقتول، وإنّا نجدُ أنه يلي هذا الأمر من بعده صاحب الارض المقدسة ، فان استطعت أن تكون ذلك فافعل ،

---

١ ــ رطن رَطانة ورِطانةً له وراطنه مُراطنة : كلمه بالاعجمية .

٢ ــ يعني الراوية .

٣ ــ وردت سايلني ، والأصل سألني .

فأصابتني لذلك وجمة فقال لي قد قلت لك اني أخاف ضِعْفَك عنه ، فقلت وما لي لا يصيبني ، أو كما قال . وقد نعيت إلى سيد المسلمين ، وأمير المؤمنين ، قال ثم قدمت المدينة فأقمت شهراً لا أذكر لعثمان من ذلك شيئاً ، ثم دخلت عليه وهو في منزل له على سرير ، وفي يده مروحة فحدثته بذلك فلما انتهيت إلى ذكر القتل بكيت ، وأمسكت فقال لي عثمان تحدث لا تحدثت ؛ فحدثته فأخذ بطرف المروحة يعضها (أحسبه قال عبد الرحمان) واستلقى على ظهره وأخذ بطرف عقبه يعركه، حتى ندمت على إخباري إياه، ثم قال لي صدق ، وسأخبرك عن ذلك : لما غزا رسول الله (صلعم) تبوك[1] أعطى أصحابه سهما سهما وأعطاني سهمين فظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أعطاني ذلك لما كان من نفقتي في تبوك ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انك أعطيتني سهمين ، وأعطيت أصحابي سهما سهما فظننت أن ذلك لما كان من نفقتي . فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا، ولكن أحببت أن يرى الناس مكانك مني ، أو منزلتك منه ، فأدبرت

---

١ ـ تبوك مدينة في الحجاز على طريق الحج من دمشق الى المدينـة ، اشتهرت بالغزوة العظيمة التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم .

فلحقني عبد الرحمن بن عوف[1] ، فقال ما اذا قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما زال يتبعك بصره ، فظننت أن قولي قد خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمهلت ، حتى إذا خرج إلى الصلاة أتيته فقلت يا رسول الله : إنَّ عبد الرحمن بن عوف أخبرني بكذا وكذا ، وأنا أتوب إلى الله أو كما قال ، فقال لا ؛ ولكنك مقتول أو قاتل فكن المقتول . والله أعلم .

قال وكان فتح إفريقيا كما حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير، عن الليث بن سعد سنة سبع وعشرين[2] . وفي تلك السنة كما حدثنا

---

١ ـ هو عبد الرحمن بن عوف الزُّهري احد العشرة المبشرين بالجنة ، واحد الثمانية الذين سبقوا الى الاسلام ، اصبح غنياً شاكراً بعد ان كان فقيراً صابراً وقد باع من ارضه بأربعين الف دينار فتصدّق بها ، توفي في سنة ٣٢ هـ انظر ، العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي طبعة الكويت ١٩٦٠ ص : ٣٣ .

٢ ـ كان اول من غزا الشمال الافريقي من رجالات العرب الأوائل عبدالله بن عباس أبي العباس الصحابي الجليل وكان ذلك مع عبدالله بن سعد بن ابي سرح في خلافة عثمان سنة ٢٧هـ ٦٤٧م وشهد فتحها ، كما ذكر ذلك ابو سعيد بن يونس في تأريخه .
انظر الحلة السيراء نشر الدكتور عبدالله انيس الطباع ، دار النشر للجامعيين بيروت ١٩٦٢ ص ٣٨٤ .

عبدالملك بن مسلمة ، عن مالك بن انس توفيت حفصة[1] زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

ذِكْرُ مَنْ كانَ يَخْرُجُ عَلى غَزْوِ المَغْرِبِ بَعْدَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ وَفتوحِهِ

معاوية بن حُدَيج[2] ـ قال ثم خرج إلى المغرب بعد عبدالله بن سعد ، معاوية بن حُدَيج التجيبي سنة أربع وثلثين وكان معه في جيشه عامئذ عبدالملك بن مروان ، فافتتح قصوراً ، وغنم غنائم عظيمة واتخذ قيرواناً عند القرن فلم يزل فيه حتى خرج إلى مصر وكان معه في غزاته هذه جماعة من المهاجرين والانصار . حدثنا

---

١ ـ هي السيدة حفصة ابنة الخليفة عمر بن الخطاب . كانت على جانب عظيم من التقى والعبادة تنصرف الى الصلاة والصوم ، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولم تعقب ولداً غير ان سنة وفاتها كما جاءت هنا لم تثبت لنا؛ بالضبط لأن بعض المراجع تشير الى انها توفيت رحمها الله سنة ٦٦٥ م اي سنه ٤٤ هجرية ، وقد جاء في كتاب العبر في خبر من غبر ان السيدة ام المؤمنين ام حبيبة بنت ابي سفيان الاموية قد توفيت في تلك السنة.

٢ ـ كان معاوية بن حُديج هذا ، قد غزا افريقيا الشمالية مرات ثلاث : الاولى مع جيش عبد الملك بن مروان سنة ٣٤ هـ ٦٥٤ م ، الثانية وكان الجيش بقيادته وذلك سنة ٤٠ هـ ٦٦٠ م واما الثالثة فبقيادته ايضاً وكانت سنة ٤٦ هـ ٦٦٦ م .

عبدالملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة ، وحدثنا يوسف بن عدي حدثنا عبدالله بن المبارك نحوه عن ابن لهيعة، عن بكير بن عبدالله عن سليمان بن يسار ، قال : غزونا إفريقيا مع ابن حُديج ومعنا من المهاجرين والانصار بشر كثير فنفلنا ابن جُديج النصف بعد الخمس فلم أر أحداً أنكر ذلك إلا جبلة بن عمرو الأنصاري .

وحدثنا يوسف بن عدي ، حدثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، قال : وسألت سليمان بن يسار عن النفل في الغزو فقال لم أر أحداً صنعه[1] غير ابن حُديج نفلنا[2] بافريقيا النصف بعد الخمس ، ومعنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين ، ناس كثير فأبى جبلة بن عمرو الانصاري أن يأخذ منه شيئاً .

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره، قال فانتهى إلى قونية[3]

---

١ ـ جاءت في نسخة ب يمتنعه .

٢ ـ النَفْل : ما تفعله مما لم يفرض ، ولم يجب عليك فعله ، ما طلب من الانسان زيادة على الواجبات والفرائض .

٣ ـ جاء في كتاب الفتوح انمعاوية بن حُديج في غزوة افريقيا ذهب الى قونية وهي موضع مدينة القيروان ، وقونية هذه هي غير مدينة قونية اعظم مدن الاسلام في بلاد الروم حيث يوجد في كنيستها قبر افلاطون ، بجوار الجامع .

وهي موضع مدينة قيروان[1] إفريقيا ثم مضى إلى جبل يقال له القرن[2] يعسكر إلى جانبه، وبعث عبدالملك بن مروان إلى مدينة يقال لها جلولاء في الف رجل فحاصرها أياماً فلم يصنع شيئاً فانصرف راجعاً فلم يسر إلا يسيراً حتى رأى في ساقة الناس غباراً شديداً فظن أن العدو قد طلبهم، فكر جماعة من الناس لذلك، وبقي من بقي على مصافهم وتسرع سرعان الناس فاذا مدينة جلولاء قد وقع حائطها فدخلها المسلمون، وغنموا ما فيها وانصرف عبدالملك إلى معاوية بن حُديج. فاختلف الناس في الغنيمة فكتب في ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان، فكتب ان العسكر رِدْء[3] للسرية، فقسم ذلك بينهم، فأصاب كل رجل منهم لنفسه مائتي دينار، وضرب للفرس بسهمين ولصاحبه بسهم، قال عبدالملك فأخذت لفرسي ولنفسي ستمائة دينار واشتريت بها جارية.

---

١ ـ قيروان : قال الازهري : القيروان معرّب وهو بالفارسية كاروان وقد تكلمت به العرب قديما وهي مدينة عظيمة في تونس، وليس بالمغرب مدينة اجل منها الى ان قدمت العرب افريقيا، واخربت البلاد فرحل اهلها عنها، وهي مدينة مصّرت في عهد معاوية. انظر : معجم البلدان لياقوت طبعة بيروت وصادر حرف القاف. ص ٤٢٠.

٢ ـ قرن بالفتح ثم السكون، وآخره نون، ومعناه يأتي في اللغة على معانٍ : القرن الجبل الصغير والقرن، قرن الشاة والبقر وغيرهما.

٣ الرِدْءُ : ج ارداء العدل الثقيل.

قال ويقال بل غزاها معاوية بن حُديج بنفسه فحاصرهم، فلم يقدر عليهم فانصرف آئساً منها ، وقد جرح عامة أصحابه، وقتل منهم ففتحها الله بعد انصرافه بغير خيل ولا رجال ، فرجع اليها ومن معه وفيها السبي لم يردهم أحد فغنموا وانصرف منها راجعاً إلى مصر .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : غزا معاوية بن حُديج إفريقيا ثلاث غزوات . أما الاولى[1] فسنة أربع وثلثين[2] قبل قتل عثمان، وأعطى عثمان مروان الخمس في تلك الغزوة ، وهي غزوة لا يعرفها كثير من الناس ، والثانية سنة اربعين[3] والثالثة سنة خمسين[4] .

١ ـ تقدم ذكر هذه الغزوات الثلاث ، ولقد جاء في الحلة السيراء عن موقعة جالولاء ما يلي : يقول ابن الابّار ص ٣٨٨ من الحلة ، طبعة بيروت : ان عبد الملك بن مروان ابا الوليد قد غزا افريقيا مع معاوية بن حُديج سنة ٣٤هـ (٦٥٤) م في آخر خلافة عثمان ، وان معاوية هذا قد بعثه في الف رجل الى مدينة جاولا ، فحاصرها عبد الملك اياماً فلم يصنع شيئاً ، فانصرف راجعاً فلم يسر الا يسيراً حتى رأى في ساقة الناس غباراً شديداً فظن ان العدو في طلبهم ، فكرّ بجماعته من الناس لذلك وبقي من بقي كلا في مصافّهم، فاذا مدينة جلولا قد وقع حائطها ، فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها .

٢ ـ ٣٤ هـ (٦٥٤) م

٣ ـ ٤٠ هـ (٦٦٠) م

٤ ـ ٥٠ هـ (٦٧٠) م

٤

عقبة بن نافع ـ قال ثم خرج [١] الي المغرب بعد معاوية بن حديج، عقبة بن نافع الفهري، سنة ستة وأربعين [٢]، ومعه بسر بن ابي أرطأة وشريك بن سمى المرادي فاقبل حتى نزل بغمداش من سرت [٣] . وكان توجه بسر اليها ، كما حدثنا يحيى بن عبد الله ابن بكير، عن الليث بن سعد سنة ست وعشرين [٤] من سرت . فأدركه الشتاء وكان مضعفاً وبلغه أن أهل ودّان [٥] قد نقضوا عهدهم ، ومنعوا ما كان بسر بن ابي أرطأة فرض عليهم . وكان عمرو بن العاص قد بعث اليها بسراً قبل ذلك وهو محاصر

---

١ ـ جاءت في ا ، ب ، ث رجع

٢ ـ ٤٦ هـ (٦٦٦) م

٣ ـ سُرت : بضم اوله ، وسكون ثانية ، وآخره تاء مثناة من فوق ، مدينة على ساحل البحر الابيض المتوسط بين برقة وطرابلس الغرب لا بأس بها ، وفي سمتها من ناحية الجنوب في البر اجدابية ، ومنها يقصد الى طرابلس الغرب قال البكري : ومدينة سُرت مدينة كبيرة على سيف البحر ، عليها سور من طوب وبها جامع وحمام واسواق ، ولها ثلاثة ابواب .

٤ ـ ٢٦ (٦٤٦) م

٥ ـ ودّان بالفتح ثم التشديد ، ثلاثة مواضع . اما الموضع الذي يهمنا فهـو مدينة في افريقيا افتتحها عقبة بن نافع في ايام معاوية بن ابي سفيان سنة ٤٦ هـ ٦٦٦ م وقال البكري : ودّان مدينة في جنوب افريقيا بينها وبين زويلـة عشرة ايام من جهة افريقيـا ، ولها قلعـة حصينة وللمدينة دروب ؛ وهي مدينتان فيها قبيلتان من العرب سهميون ، وحضرميون ،

لأهل طرابلس فافتتحها . فخلف عقبة بن نافع جيشه هناك ، واستخلف عليهم عمر بن علي القرشي وزهيرا بن قيس البلوي ثم سار بنفسه ومن خف معه، أربع مائة فارس ، وأربع مائة بعير وثماني مائة قربة حتى قدم ودّان فافتتحها ، وأخذ ملكهم فجدع أذنه، فقال : لِمَ فعلت هذا بي، وقد عاهدتني؟ فقال عقبة: فعلت هذا بك أدباً لك، إذا مسست أذنك ذكرته، فلم تحارب العرب؟ واستخرج منهم ما كان بسر فرضه عليهم ثلاثمائة رأس ، وستين رأساً .

ثم سألهم عقبة هل من ورائكم أحد ؟ فقيل له جرمة وهي مدينة فزّان [1] العظمى ؛ فسار اليها ثماني ليال من ودّان ، فلما دنا منها أرسل فدعاهم الي الاسلام فأجابوا .

فنزل منها على ستة أميال ، وخرج ملكهم يريد عقبة ، وأرسل عقبة خيلًا فحالت بين ملكهم وبين موكبه فأمشوه راجلًا حتى أتى عقبة وقد لغب [2] وكان ناعماً فجعل يبصق الدم

---

١ ــ فزّان : بفتح اوله وتشديد ثانية وآخره نون : ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب ، قيل سميت بفزان بن حام بن نوح عليه السلام ، بها نخل كثير ، ومدينتها زويلة السُودان .

٢ ــ لَغَبَ ولَغُبَ لَغْباً ولغوباً ولَغِبَ لَغَباً تعب وأعيا اعياءً شديداً .

فقال له لم فعلت هذا بي وقد أتيتك طائعاً ؟ فقال عقبة : أدباً لك إذا ذكرته لم تحارب العرب ، وفرض عليه ثلاثمائة عبد وستين عبداً ووجه عقبة الرحل [1] من يومه ذلك إلى المشرق

ثم مضى على جهته من فوره ذلك الى قصور فزّان فافتتحها قصراً قصرا حتى انتهى الى أقصاها. فسألهم هل من ورائكم أحد ؟ قالوا نعم أهل خاوار وهو قصر عظيم على رأس المفازة في وعورة على ظهر جبل، وهو قصبة كوار فسار اليهم خمس عشرة ليلة، فلما انتهى تحصنوا فحاصرهم شهراً فلم يستطع لهم شيئاً، فمضى أمامه إلى قصور كوار [2] فافتتحها حتى انتهى إلى أقصاها وفيه ملكها فقطع اصبعه فقال : « لِمَ فعلت هذا بي ؟ » قال أدباً لك إذا نظرت إلى اصبعك لم تحارب العرب ، وفرض عليه ثلاثماية عبد وستين عبداً .

فسألهم هل من ورائكم أحد؟ فقال الدليل ليس عندي بذلك معرفة ، ولا دلالة ؛ فانصرف عقبة راجعاً فمر بقصر خاوار ، فلم يعرض له ولم ينزل بهم وسار ثلاثة أيام ، فأمنوا وفتحوا مدينتهم، وأقام عقبة بمكان اسمه اليوم ماء فرس ، ولم يكن به ماء فأصابهم

---

١ ـ جاءت في ا ـ ث الرجل .
٢ ـ كُوَّار : اقليم من بلاد السودان جنوبي فَزّان افتتحه عقبة بن عامر عن آخره .

عطش شديد أشفى منه عقبة وأصحابه على الموت ، فصلى عقبة ركعتين ودعا الله ، وجعل فرس عقبة يبحث فيه يديه في الأرض حتى كشف عن صفاة ، فانفجر منها الماء ، فجعل الفرس يمص ذلك الماء فأبصره عقبة فنادى في الناس ان احتفروا فحفروا سبعين حسياً فشربوا واستقوا .

فسمي لذلك ماء فرس . ثم رجع عقبة ، الى خاوار من غير طريقه التي كان أقبل منها ، فلم يشعروا به حتى طرقهم ليلاً فوجدهم مطمئنين قد تمهدوا في أسرابهم ، فاستباح ما في المدينة من ذرياتهم وأموالهم وقتل مقاتلتهم . ثم انصرف راجعاً فسار حتى نزل بموضع زويلة اليوم ، ثم ارتحل حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر وقد جمت خيولهم وظهرهم ، فسار متوجهاً الى المغرب وجانب الطريق الأعظم وأخذ إلى أرض مزاتة [١] فافتتح كل قصر بها ثم مضى الى ... [٢] فافتتح قلاعها وقصورها ، ثم بعث خيلاً الى غدامس [٣] فافتتحت غدامس فلما انصرفت اليه

---

١ ـ مزاتة : لم نجد لها ترجمة في كتب المراجع .

٢ ـ بياض في المخطوط .

٣ ـ غدامس : بفتح اوله ويضم ؛ وهي عجمية بربرية فيما احسب : وهي مدينة بالمغرب ثم في جنوبيه ، ضاربة في بلاد السودان بعد بلاد زافون تدبغ فيها الجلود الغدامسية وهي ذات شهرة عظيمة .

خيله سار الى قفصة [١] فافتتحها وافتتح قصطيلية [٢] .

ثم انصرف الى القيروان ، فلم يعجب بالقيروان الذي كان معاوية بن حديج بناه قبله ، فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم ، وكان وادياً كثير الشجر كثير القطف تأوي اليه الوحوش والسباع والهوام . ثم نادى بأعلى صوته يا أهل الوادي ارتحلوا رحمكم الله فإنا نازلون ، نادى بذلك ثلاثة أيام فلم يبقَ من السباع شيء ، ولا الوحوش والهوام ، إلا خرج ، وأمر الناس بالتقية والخط ونقل الناس من الموضع الذي كان معاوية ابن حديج نزله الى مكان القيروان اليوم ، وركز رمحه وقال هذا قيروانكم [٣] . حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث

---

١ ـ قفصة : بالفتح ثم بالسكون ، وصاد مهملة ؛ اسم بلد مغير في طرف افريقيا من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد بينها وبين القيروان ثلاثة ايام مختطة في ارض سبخة لا تنبت الا الاشذان واالشيح .

٢ لم نعثر لها على ترجمة .

٣ ـ القيروان : قال الازهري : القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان ، وقد تكلمت به العرب قديماً ؛ قال امرؤ القيس :

وغارة ذات قيروان كأنّ أسرابها الرّعال

والقيروان في الاقليم الثالث ، طولها احدى وثلاثون درجة وعرضها ثلاثون درجة واربعون دقيقة . وهذه مدينة عظيمة بافريقيا غبرت دهراً وليس بالغرب مدينة اجل منها .

ابن سعد ، ان عقبَة بن نافع غزا أفريقيا فأتى وادي القيروان فبات عليه هو وأصحابه، حتى إذا أصبح وقف على رأس الوادي فقال : « يا أهل الوادي اظعنوا فإنا نازلون . » قال ذلك ثلاث مرات فجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها مما لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة وهم قيام ينظرون اليها من حين أصبحوا حتى أوجعتهم الشمس، وحتى لم يروا منها شيئاً ، فنزلوا الوادي عند ذلك . قال الليث ، فحدثني زياد بن العجلان أن أهل افريقيا أقاموا بعد ذلك أربعين سنة ولو التمست حية ، او عقرب بالف دينار ما وجدت .

ابو المهاجر ـ قال ، ثم عزل عقبة بن نافع في سنة إحدى وخمسين [1] ، عزله مسلمة بن مخلد الانصاري وهو يومئذ والي البلد من قبل معاوية بن ابي سفيان ، ومسلمة بن مخلد أول من جمعت له مصر والمغرب . وكانت ولاية مسلمة بن مخلد ، كما

١ ـ تم عزل عقبة بن نافع عن ولاية القيروان سنة ٦١ هـ (٦٨٠) م ويؤكد ابن الابار في الحلة السيراء ، ان معاوية بن ابي سفيان عين مسلمة بن مخلد الانصاري على افريقيا ، وجمع له ولايتي مصر والمغرب معاً . ثم نراه يؤكد فيقول : « ما دام عقبة قد عزل سنة ٦١ هـ (٦٨٠) م فلا شك ان يكون ذلك في خلافة يزيد ، لا في خلافة معاوية الذي توفي سنة ٦٠ هـ ٦٧٩ م » انظر الحلة السيراء تحقيق الدكتور عبدالله طباع ص ٤٦٤ .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد سنة سبع وأربعين ، وولى أبا المهاجر دينارا مولى الأنصار وأوصاه حين ولاه أن يعزل عقبة أحسن العزل ، فخالفه أبو المهاجر فأساء عزله وسجنه وأوقره حديداً حتى أتاه الكتاب من الخليفة بتخلية سبيله [1] وإشخاصه اليه ، فخرج عقبة حتى أتى قصر الماء ، فصلى ثم دعا وقال : « اللهم لا تمتني من أبي المهاجر دينار بن ام دينار ، فبلغ ذلك ابا المهاجر فلم يزل خائفاً منذ بلغته دعوته ، فلما قدم عقبة مصر ، ركب اليه مسلمة بن مخلد فأقسم له بالله لقد خالفه ما صنع ابو المهاجر ولقد أوصيته بك خاصة . وقد كان قيل لمسلمة لو أقررت عقبة ، فان له جزالة وفضلاً [2] ، فقال : « مسلمة ان أبا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ، ولا كبير نيل ، فنحن نحب أن نكافيه . »

فلما قدم ابو المهاجر أفريقيا كره أن ينزل في الموضع الذي

---

١ ـ انظر الحلة السيراء ص : ٤٦٤ .

٢ ـ يؤكد ابن الابّار ان « معاوية بن ابي سفيان قد اغزا عقبة بن نافع افريقا سنة ٤٦ هـ (٦٦٦ م) فخرج الى افريقيا في عشرة الآف من المسلمين ، فاختط مدينة القيروان ، واسلف آثاراً كريمة ، وكان من خيار الولاة والامراء مستجاب الدعوة ، ثم صرف وأعيد سنة ٦٢ هـ (٦٨١ م) فقتله البربر ومن معه بمقربة من تهوزة سنة ٦٣ هـ (٦٨٢م) ، وقبره هناك يتبرك به الى اليوم» .

اختطه عقبة بن نافع ، ومضى حتى خلفه بميلين فابتنى ونزل [1] .
وكان الناس قبل ابو المهاجر كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة ، وأحمد بن عمر وعن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب، يغزون افريقيا ثم يقفلون منها الى الفسطاط [2] وأول من أقام بها حين غزاها ابو المهاجر مولى الأنصار ، أقام بها الشتاء والصيف واتخذها منزلًا ، وكان مسلمة بن مخلد ، الذي عقد له على الجيش الذين خرجوا معه اليها فلم يزالوا بها حتى قتل ابن الزبير فخرجوا منها .

ثم قدم عقبة على معاوية بن أبي سفيان فقال له : « فتحت البلاد، وبنيت المنازل ومسجد الجماعة ودانت لي ، ثم أرسلت عبد الانصار فأساء عزلي . » فاعتذر اليه معاوية وقال : « قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الامام المظلوم وتقديمه إياه ، وقيامه بدمه وبذل مهجته ، وقد رددتك على عملك [3] » .

---

١ ــ « لقد امر ابو مهاجر دينار بهدم ما بناه عقبة ، كما اختط مدينة اوذان على نحو ميلين مما يلي طريق تونس . » انظر الحلة السيراء طبعة بيروت ص ٤٦٤

٢ تقدم ترجمتها

٣ ــ اكدنا ان الذي اعاد عقبة بن نافع الى ولاية القيروان هو يزيد بن معاوية ، لا معاوية اذ انكتب التاريخ تشير الى ان عزل عقبة كان سنة ٦١ هـ وعودته الى ولاية القيروان سنة ٦٢ هـ . ومن الثابت ان معاوية بن ابي سفيان توفي سنة ٦٠ هـ (٦٧٩ م) .

ويقال إن معاوية ليس هو الذي رد عقبة بن نافع ، ولكنه قدم على يزيد بن معاوية بعد موت أبيه فرده والياً على افريقيا ، وذلك أصح لأن معاوية توفي سنة ستين. حدثنا يحيى بن عبدالله ابن بكير، عن الليث بن سعد قال : «توفي معاوية بن أبي سفيان سنة ستين .

مقتل عقبة بن نافع ـ ثم رجع الى حديث عثمان وغيره ، قال : « فخرج عقبة بن نافع سريعاً بحنقه على أبي المهاجر حتى قدم افريقيا فأوثق ابا المهاجر في وثاق شديد ، وأساء عزله وغزا به معه الى السوس [1] وهو في حديد ، وأهل السوس بطن من البربر يقال لهم انبية فجوّل في بلادهم لا يعرض له أحـد ، ولا يقاتله ، فانصرف إلى أفريقيا ، فلما دنا من ثغرها أمر أصحابه فافترقوا عنه ، وأذن لهم حتى بقي في قلة .

---

١ ـ يؤكد ابن الأبار : « ان عقبة بن نافع عندما خرج الى السوس ، استخلف على القيروان عمر بن علي القرشي ، وزهير بن قيس البلوي فخالفه رجل من العجم في ثلاثين الفاً الى عمر وزهير وهما في ستة آلاف فهزمه الله ، ولما قتل عقبة زحف ابن الكاهنة الى القيروان يريد عمر وزهيراً فقاتلا فهزم ابن الكاهنة واصحابه » انظر الحلة السيراء ص ٤٦٥
واما السوس فهي مدينة في جنوب المغرب الاقصى

فأخذ على مكان يقال له تهوذة [1] ، فعرض له كسيلة بن لمزم في جمع كثير من الروم والبربر ، وقد كان بلغه افتراق الناس عن عقبة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل عقبة ومن كان معه ، وقتل ابو المهاجر وهو موثق في الحديد ، ثم سار كسيلة ومن معه حتى نزلوا الموضع الذي كان عقبة اختطه ، فأقام فيه وقهر من قرب منه باب قابس [2] ومـا يليه وجعل يبعث أصحابه في كل وجه .

ويقال بل خرج عقبة بن نافع الى السوس واستخلف على القيروان عمر بن علي القرشي ، وزهير ابن قيس البلوي [3] . وكانت أفريقيا يومئذ تدعى مزاق [4] ، فتقدم عقبة الى السوس وخالفه رجل من العجم في ثلاثين ألفاً ، الى عمر بن علي ، وزهير ابن قيس وهما في ستة آلاف فهزمه الله . وخرج ابن الكاهنة البربري على أثر عقبة كلما رحل عقبة من منهل دفنه ابن الكاهنة فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة الى السوس ، ولا يشعر بما صنع

---

١ - تهوذة : بالفتح ثم الضم ، وسكون الواو والذال معجمة ، اسم لقبيلة من البربر بناحية افريقيا ، لهم ارض تعرف بهم . انظر معجم البلدان .

٢ ــ مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل البحر فيها نخل وبساتين غربي طرابلس الغرب .

٣ - اكدنا ذلك قبلا نقلا عن ابن الأبار

٤ ــ لم نعثر على ترجمة لافريقيا بهذا الاسم .

البربري، فلما انتهى عقبة الى البحر أقحم فرسه فيه حتى بلغ نحره ثم « قال اللهم اني أشهدك أن لا مجاز ولو وجدت مجازاً لجزت » . وانصرف راجعاً والمياه قد غورت ، وتعاونت عليه البربر فلم يزل يقاتل ، وابو المهاجر معه في الحديد ولما استحر الأمر ، أمر عقبة بفتح الحديد عنه فأبى ابو المهاجر وقال : « القى الله في حديدي » فقتل عقبة وابو المهاجر ومن معهما .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد ان عقبة ابن نافع قدم من عند يزيد ابن معاوية في جيش على غزو المغرب فمر على عبد الله بن عمرو وهو بمصر فقال له عبد الله : « يا عقبة لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم » فمضى بجيشه حتى قاتل البربر وهم كفار فقتلوا جميعا .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن بحير بن ذاخر المعافري قال: كنت عند عبد الله بن عمرو بن العاص حتى دخل عليه عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري فقال : « ما اقدمك يا عقبة ، فاني أعلمك تحب الامارة » قال : « فان أمير المؤمنين يزيد عقد لي على جيش الى أفريقيا . » فقال له عبد الله بن عمرو : « إياك ان تكون لعنة ارامل اهل مصر ، فاني لم أزل اسمع انه سيخرج رجل من قريش في هذا الوجه فيهلك فيه . »

فقدم افريقيا فتتبع آثار ابي المهاجر وضيق عليه وحدده، ثم خرج الى قتال البربر وهم خمسة آلاف رجل من أهل مصر ، وخرج بأبي المهاجر معه في الحديد فقتل وقتل أصحابه ، وقتل ابو المهاجر معهم . وكان مقتل عقبة بن نافع واصحابه كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد في سنة ثلاث وستين [1] .

قال ثم رجع الى حديث عثمان وغيره قال : ثم زحف ابن الكاهنة الى القيروان يريد عمر بن علي ، وزهير بن قيس فقاتلاه قتالاً شديداً فهُزم ابن الكاهنة وقتل أصحابه ، وخرج عمر بن علي وزهير بن زهير بن قيس الى مصر بالجيش لاجتماع ملأ البربر وأقام ضعفاء أصحابهما ومن كان خرج معهما من موالي افريقيا باطرابلس .

ويقال ان عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر كتب الى زهير بن قيس ، وزهير يومئذ ببرقه يغزو افريقيا فخرج بجمع كثير فلما دنا من قونية [2] وبها عسكر كسيلة بن لمزم عبأ زهير

---

١ ـ ٦٣ هـ (٦٨٢) م

٢ ـ قونية من اعظم مدن الاسلام بالروم ، وبها وباقصرى سكن ملوكها ، قال ابن الهروي : وبها قبر افلاطون الحكيم بالكنيسة التي في جنب الجامع ، وفي كتاب الفتوح : انتهى معاوية بن حديج في غزوة افريقيا الى قونية وهي موضع مدينة القيروان انظر : معجم البلدان ج ٤ ص : ٤١٥

لقتـاله ، وخرج اليه فاقتتلا فقُتل كسيلة ومن معه ثم انصرف زهير قافلًا الى برقة [1] . ويقال بل حسان بن النعمان الذي كان وجه زهير بن قيس والله أعلم . كان مقتل كسيلة كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد في سنة اربع وستين [2] .

حسان بن النعمان – ثم قدم حسان بن النعمان والياً على المغرب أمّره عليها عبد الملك بن مروان في سنة ثلاث وسبعين [3] فمضى في جيش كبير حتى نزل اطرابلس ، واجتمع اليه بها من كان خرج من افريقيا واطرابلس فوجه على مقدمته محمد بن ابي بكير ، وهلال بن ثروان اللواتي ، وزهير بن قيس ففتح البلاد واصاب غنائم كثيرة . وخرج الى مدينة قرطاجنة [4] وفيها الروم فلم يصب فيها إلا قليلًا من ضعافهم . فانصرف وغزا

---

١ ـ تقدمت ترجمتها

٢ ـ ٦٤ ﻫ (٦٨٣) م

٣ ـ ٧٣ ﻫ (٦٩٢) م

٤ كثيراً ما يستعملون اسم قرطاجنة موضع قرطاجة ، ذلك ان قرطاجة في افريقيا قرب تونس وهي مدينة قديمة اسستها ديدون الفينيقية اخت بجماليون ملك صور (القرن التاسع ق م) ، اما قرطاجنة فمدينة على الساحل الاسباني. اسسه اهل قرطاجة (٢٢٣ ق م) واشك ان يكون العرب في تلك السنة حاولوا احتلال قرطاجنة كما جاءت في المخطوط .

الكاهنـة وهي إذ ذاك ملكة البربر ، وقد غلبت على جل أفريقيا فلقيهما على نهر يسمى اليوم نهر البلاء ، فاقتتلوا قتـالا شديداً فهزمته ، وقتلت من أصحابة واسرت منهم ثمانين رجلًا وافلت حسان ونفذ من مكانه الى أنطابلس فنزل قصوراً من حـيز برقة فسميت قصور حسان، واستخلف على افريقيا ابا صالح ، وكانت انطابلس ولوبية ومراقية الي حد اجدابية من عمل حسان .

فأحسنت الكاهنة اسار من اسرته من أَصحابه ، وارسلتهم إلا رجلًا منهم من بني عبس يقال له خالد بن يزيد فتبنته واقام معها . فبعث حسان الى خـالد رجلًا فأتاه فقال له ان حسان يقول : « لك ما يمنعك من الكتاب الينا بخبر الكاهنة فكتب خالد ابن يزيد الى حسان كتاباً وجعله في خبزة ملة ، ثم دفعهـا الى الرسول ليخفي فيهـا الكتاب ، وليظن من رأى الخبزة انها زاد الرجل ، فخرجت الكاهنة وهي تقول : « يا بني هلاكـكم فـيما تأكله الناس ، فكررت ذلك ومضى الرسول حتى قدم على حسان بالكتاب فيه علم ما يحتاج اليه . ثم كتب اليه ايضاً كتاباً آخر وجعله في قربوس[1] حفره ، ووضع الكتاب ، وأطبق عليه حتى

---

١ ـ القربوس ج قرابيس : حِنْو السرج ، اي قسمه المقوس المرتفع من قدّام المقعد ومن مؤخره ، وهما قربوسان .

استوى وخفي مكانه فخرجت الكاهنة ايضاً وهي تقول : « يا بني هلاككم في شيء من نبات الأرض ميت » فكررت ذلك ومضى حتى قدم على حسان ، فندب أصحابه ثم غزاها ، فلما توجه اليها خرجت ناشرة شعرها فقالت يا بني : « انظروا ماذا ترون في السماء قالوا نرى شيئاً من سحاب أحمر قالت لا وإلهي ولكنها رهج [1] خيل العرب ثم قالت لخالد بن يزيد : « إني إنما كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم ، انا مقتولة فأوصيك باخويك هذين خيرا . » فقال خالد : « اني اخاف ان كان ما تقولين حقاً ألا يستبقيا . » قالت بلى ويكون احدهما عند العرب اعظم شأناً منه اليوم فانطلق فخذ لهما أماناً ، فانطلق خالد فلقي حسان فأخبره خبرها وأخذ لابنيها اماناً وكان مع حسان جماعة من البربر من البتر فولى عليهم حسان الاكبر من ابني الكاهنة وقربه.

ومضى حسان ومن معه فلقي الكاهنة في اصل جبل فقتلت وعامة من معها ، فسميت بئر الكاهنة . وكان مقتل الكاهنة...

قال ثم رجع الى حديث عثمان وغيره ، قال ثم انصرف حسان فنزل موضع قيروان افريقية اليوم ، وبنى مسجد جماعتها ، ودوّن الدواوين ، ووضع الخراج على عجم افريقيا ، وعلى من

1 رهج ارهج : اثار الغبار ، بين القوم : هيج بعضهم على بعض

اقام معهم على النصرانية من البربر وعامتهم من البرانس [1] إلا قليلًا من البتر .

واقام حسان بموضعه حتى استقامت له البلاد ، ثم توجه الى عبد الملك بغنائمه في جمادى الآخرة سنة ست وسبعين [2] . قال وحدثنا ابن بكير ، حدثنا الليث بن سعد ، قال قفل حسان ابن النعمان من افريقيا سنة ثمان وسبعين [3] . فلما مرّ حسان ببرقة أمّر على خراجها ابراهيم بن النصراني ، ثم مضى فمر بعبد العزيز بن مروان وهو بمصر ، ثم نفذ الى عبد الملك فسر عبدالملك بما اورد عليه حسان من فتوحه وغنائمه . ويقال بل أخذ منه عبد العزيز كلّ ما كان معه من السبي ، وكان قد قدم معه من وصائف البربر بشيء لم ير مثله جمالاً ، فكان نصيب الشاعر يقول حضرت السبي [4] الذي كان عبد العزيز أخذه من حسان ، مائتي جارية منها ما يقام بألف دينار .

مقتل زهير بن قيس ــ قال وأغارت الروم بعد حسان على

---

١ ـ اقوام من البرابر نسبة الى جبال البرانس

٢ ـ ٧٦ هـ (٦٩٥ م)

٣ ـ ٧٨ هـ (٦٩٧ م)

٤ ـ السبْيُ ج سبيّ : ما يسبى . يقال « جاؤوا بسبي كثير » والغالب تخصيص الأسر بالرجال ، والسبي بالنساء .

انطابلس ، فهرب ابراهيم بن النصراني ، وخلى اهل انطابلس ، واهل ذمتها في ايدى الروم فرأسوها اربعين ليلة حتى اسرعوا فيها الفساد ، وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان ، فأرسل الى زهير بن قيس وكان خرج مع حسان ، فلما بلغ مصر اقام فيها فأمره عبد العزيز بالنهوض الى الروم، ولم يجتمع لزهير من اصحابه إلا سبعون رجلًا وكان عارض من الصدف يقال له جندل بن صخر وكان فظاً غليظاً ، فقال زهير لعبد العزيز بن مروان ، اما إذ قد امرتني بالخروج فلا تبعثن معي جندلاً عارضاً ، فيحبس على الناس لشدته وفظاظته ، وكان عبد العزيز عاتباً على زهير بن قيس لانه كان قاتله حين وجهه ابوه مروان بن الحكم من ناحية ايلة من قبل ان يدخل مصر، فقال له ما علمتك يا زهير إلا جلفاً! فقال له زهير ، ما كنت ارى يا ابن ليلى ان رجلًا جمع ما انزل الله على محمد (صلعم) من قبل ان يجتمع ابواك جلف جاف ، ما هو بالجلف ولا الجاف ، انا منطلق فلا ردني الله اليك ، فخرج حتى إذا كان بدرنة من طبرق[1] من ارض انطابلس، لقي الروم وهو في سبعين رجلًا فتوقف لتلحق به الناس فقال له فتى شاب كان معه : « جبنت يا زهير » فقال : « ما جبنت يا ابن اخي

---

١ ــ وردت في « ا ــ ث » طوقة وفي « ب » طوفه

ولكن قتلتني وقتلت نفسك . » فلقيهم فاستشهد زهير واصحابه جميعاً فقبورهم هنالك معروفة الى اليوم. وكان مقتل زهير واصحابه كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث في سنة ست وسبعين [1] .

قال وكان بامِلس [2] من برية انطابلس رجل من مذحج [3] يقال له عطية بن يربوع ، خرج بابن له هارباً من الوباء ، وكان في تلك البرية جماعة من المسلمين فاستغاثهم ، وركب فيمن حوله من الناس، فاجتمع اليه سبعمائة رجل فزحف بهم الى الروم فقاتلهم فهزمهم واعتصموا بسفنهم وهرب من بقي منهم . وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فبعث اليها غلاماً يقال له تليد ووجه معه ناساً من اشراف اهل مصر فضبطها . حدثنا يحيى بن بكير ، عن الليث بن سعد ، قال : « امر على انطابلس حين قتل زهير طارق » . فثقل على الناس امامة تليد بهم لانه عبد فبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فأرسل الى تليد بعتقه ، واقام بأنطابلس [4] .

---

١ ــ ٧٦ هـ « ٦٩٥ م »

٢ ــ وردت في ث مامنس

٣ ــ مذحج : بفتح اوله ، وسكون ثانيه ، وكسر الحاء المهملة وجيم ، قال ابن دريد ذحجه وسحجه بمعنى ، قال : ذحجته الريم اي جرّته . وذهب قوم الى ان طيئاً ليست من مذحج وان مذحجاً ولد مالك بن أدد فقط . انظر : معجم البلدان "مذْحج

٤ ــ وردت ترجمتها

موسى بن نصير [1] _ وقدم حسان بالنعمان من قبل عبد الملك ، متوجهاً الى المغرب فلما قدم مصر قال ، لعبد العزيز : « اكتب الى عبدك بالاعراض عن انطابلس . » فقال له عبد العزيز « ما كنت لأفعل بعد اذ ضيعتها فاستولت عليها الروم . » فقال حسان : « إذاً ارجع الى امير المؤمنين . » فقال له عبد العزيز : « ارجع » فانصرف حسان راجعاً الى عبد الملك ، وخلف ثقله بمصر فقدم على عبد الملك ، وهو مريض ووجه عبد العزيز موسى ابن نصير الى المغرب ، فأخبر حسان عبد الملك بذلك فخر عبد الملك ساجداً وقال : « الحمد لله الذي امكنني من موسى لشدة اسفه عليه . وكان عاملاً لعبد الملك على العراق مع بشر بن مروان فعتب عليه عبد الملك ، واراد قتله فافتداه منه عبد العزيز بمال لما رأى من عقل موسى بن نصير ولبه ، وكان عنده بمصر . ثم لم يلبث حسان بن النعمان إلا يسيراً حتى توفي ، وقدم موسى ابن نصير المغرب في سنة ثمان وسبعين [2]. حدثنا يحيى بن بكير ،

---

١ _ موسى بن نصير «٢٠ هـ. = ٦٤٠م. _ ٩٨ هـ. = ٧١٦ م» حاكم الشمال الافريقي في مدينة القيروان وفاتح المغرب الاقصى ، ارسله الخليفة عبدالملك من البصرة الى افريقيا فاخضع قبائلها . ارسل طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ الى فتح شبه جزيرة ايبريا «الاندلس» ثم تبع في العام التالي فاخضع اقاليم اسبانيا الشمالية وعاد الى دمشق .

٢ _ ٧٨ هـ (٦٩٧ م)

حدثنا الليث ، قال : « أمر موسى بن نصير على افريقية سنة تسع وسبعين[1] . فعزل اباصالح وافتتح عامة المغرب وواتر فتوحه، وكتب بها الى عبد العزيز بن مروان وبعث بغنائمه وانهاها عبد العزيز الى عبدالملك، فسكن ذلك من عبدالملك بعض ما كان يجد على موسى .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد ، « ان موسى بن نصير حين غزا المغرب بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبي مائة الف ، وبعث ابن أخيه في جيش آخر فأصاب مائة الف ، فقيل لليث بن سعد من هم ؟ » فقال : « البربر » فلما أتى كتابه بذلك قال الناس ابن نصير : والله احمق من أين له عشرون ألفاً يبعث بها الى امير المؤمنين في الخمس فبلغ ذلك موسى بن نصير فقال ليبعثوا من يقبض لهم عشرين ألفاً .

ثم توفي عبد الملك بن مروان ، وكانت وفاته كما حدثنا يحيى

---

١ ــ ٧٩ هـ (٦٩٨ م) ومن المؤكد ان عبدالعزيز بن مروان سمّاه اميراً على الشمال الافريقي سنة ٧٩هـ لا سنة ٧٨هـ فضلا عن ان موسى بن نصير ولد سنة ٢٠هـ (٦٤٠ م) في وادي القرى في شمال الحجاز وهو ينتسب الى بكر بن وائل وكان ابوه ممن سباهم خالد بن الوليد في موقعة عين التمر ، وقيل انه كان ينتسب بطريق الولاء الى بني لخم . انظر الحلة السيراء تحقيق الدكتور عبدالله طلاع ص ١٩٠ ــ ١٩١

ابن بكير عن الليث بن سعد يوم الخميس لأربع عشر ليلة خلت من شوال سنة ست وثمانين [1] .

واستخلف الوليد بن عبد الملك . فتواترت فتوح المغرب على الوليد من قبل موسى بن نصير فعظمت منزلة موسى عنده ، واشتد عجبه به .

ذكر فتح الأندلس [2]

قال ووجه موسى بن نصير ، ابنه مروان بن موسى الى

---

١ ـ ٨٦ هـ (٧٠٥ م)

٢ ـ الاندلس يقال بضم الدال وفتحها، وضم الدال ليس الا : وهي كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم وانما عرفتها العرب في الاسلام . وقد جرى على الالسن ان تلزم الالف واللام، وقد استعمل حذفها في شعر ينسب الى بعض العرب فقال :

سألت القومَ عن أنسٍ ؟ فقالوا بأندلسٍ ... وأندلسٌ بعيدُ

وأرض الاندلس من على البحر تواجه من ارض المغرب تونس، والى طبرقة الى جزائر بني مزغنّاي ثم الى نكور ثم الى سبتة، ثم الى أزيلي ثم الى البحر المحيط . اما اسم الاندلس فهو محرف عن الفندال، وقد قدمنا له بحثاً مطولاً عند تحقيقنا لكتاب (تاريخ افتتاح الاندلس بن القوطية القرطبي) ١٩٥٨ دار النشر للجامعيين بيروت المقدمة وما يليها .

طنجة مرابطاً على ساحلها فجهد هو وأصحابه ، فانصرف وخاف على جيشه طارق بن عمرو وكانوا ألفاً وسبعمائة . ويقال بل كان مع طارق اثني عشر ألفاً من البربر ، إلا ستة عشر رجلًا من العرب وليس ذلك بالصحيح . ويقال ان موسى بن نصير خرج من افريقيا غازياً الي طنجة ، وهو اول من نزل طنجة من الولاة وبها من البربر بطون من البتر والبرانس ممن لم يكن دخل في الطاعة ، فلما دنا من طنجة بث السرايا فانتهت خيله الى السوس[1] الادنى فوطئهم وسباهم ، وأدوا اليه الطاعة ، وولى عليهم والياً أحسن فيهم السيرة ، ووجه بسر بن ابي أرطاة الى قلعة من مدينة القيروان على ثلاثة ايام فافتتحها ، وسبى الذرية وغنم الأموال . قال : « فسميت قلعة بسر» فهي لا تعرف إلا به إلى اليوم . ثم إن موسى عزل الذي كان استعمله على طنجة وولى طارق بن زياد ثم انصرف الى القيروان ، وكان طارق قد خرج معه بجارية له يقال لها ام حكيم فأقام طارق هناك مرابطاً زماناً وذلك في سنة اثنتين وتسعين هـ .[2]

وكان المجاز الذي بينه وبين اهل الأندلس عليه رجل من

---

١ ــ السوس بالمغرب كورة مدينتها طنجة ، وهناك السوس الاقصى : كورة أخرى مدينتها طرقلة .

٢ ــ ٩٢ هـ (٧١٠ م)

العجم يقال له يليان[1] صاحب سبتة[2]، وكان على مدينة على المجاز الى الاندلس يقال لها الخضراء [3] مما يلي طنجة، وكان يليان يؤدي الطاعة الى لذريق[4] صاحب الأندلس وكان لذريق يسكن طليطلة[5] فراسل طارق يليان ولاطفه حتى تهاديا، وكان يليان قد بعث بابنة له الى لذريق صاحب الأندلس ليؤدبها ويعلمها. فأحبلها فبلغ ذلك يليان فقال لا أرى له عقوبة ولا مكافأة إلا أن أدخل عليه العرب، فبعث الى طارق اني مدخلك الأندلس، وطارق يومئذ بتلمسين، وموسى بن نصير بالقيروان، فقال طارق «فإني لا أطمئن اليك، حتى تبعث إليّ برهينة» فبعث اليه بابنتيه، ولم يكن له ولد غيرهما، فأقرهما طارق بتلمسين واستوثق منهما، ثم خرج طارق الى يليان وهو بسبتة على المجاز، ففرح به حين قدم عليه، وقال له: «أنا مدخلك الأندلس» وكان

---

١ ـ هناك روايات كثيرة حول الاسباب التي دعت الى فتح الاندلس، انظر نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وتاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية القرطبي.

٢ ـ سبتة مدينة على الابيض المتوسط

٣ ـ الخضراء، وتعرف بالجزيرة.

٤ ـ لذريق ملك القوط الذي اغتصب الحكم من ابناء الملك الشرعيين وكان اكبرهم الموندو الذي ساعد واخوته الجيش الاسلامي.

٥ ـ قاعدة الحكم القوطي وتقع في شمال البلاد على نهر التاج

فيما بين المجازين جبل يقال له اليوم جبل طارق فيما بين سبتة والأندلس ، فلما أمسى جاءه يليان بالمراكب فحمله فيها الى ذلك المجاز فأكمن فيه نهاره ، فلما أمسى ردّ المراكب الى من بقي من أصحابه ، فحملوا اليه حتى لم يبق منهم أحد ، ولا يشعر بهم اهل الأندلس ولا يظنون إلا أن المراكب تختلف بمثل ما كانت تختلف به من منافعهم ، وكان طارق في آخر فوج ركب ، فجاز الى أصحابه ، وتخلف يليان ومن كان معه من التجار بالخضراء ليكون أطيب لأنفس أصحابه وأهل بلده . وبلغ خبر طارق ومن معه اهل الأندلس ومكانهم الذي هم به. وتوجه طارق فسلك باصحابه على قنطرة من الجبل إلى قرية يقال لها قرطاجنة ، وزحف يريد قرطبة فمر بجزيرة في البحر فخلف بها جارية له يقال لها ام حكيم، ومعها نفر من جنده، فتلك الجزيرة من يومئذ تسمى جزيرة ام حكيم . وقد كان المسلمون حين نزلوا الجزيرة ، وجدوا بها كرامين ولم يكن بها غيرهم فأخذوهم ، ثم عمدوا الى رجل من الكرامين فذبحوه ثم عضوه وطبخوه ، (1) ومن بقي من اصحابه ينظرون وقد كانوا طبخوا لحماً في قدور أخر، فلما ادركت طرحوا

---

1 ــ رافق فتح الاندلس كثير من الروايات التي تعتمد في اكثرها على الخيال والابتكار ولا شك ان هذه الرواية هي واحدة منها ، لأن الدين الاسلامي يحرم مثل هذه الاعمال .

ما كان طبخوه من لحم ذلك الرجل ولا يعلم بطرحهم له ، واكلوا اللحم الذي كانوا طبخوه ومن بقي من الكرامين ينظرون اليهم ، فلم يشكوا انهم أكلوا لحم صاحبهم ، ثم أرسلوا من بقي منهم فأخبروا اهل الأندلس انهم يأكلون لحم الناس ، واخبروهم بما صنع بالكرام .

قال وكان بالأندلس كما حدثنا ابو عبد الله بن عبد الحكم وهشام بن اسحاق بيت عليه اقفال [1] لا يلي ملك منهم إلا زاد عليه قفلاً من عنده ، حتى كان الملك الذي دخل عليه المسلمون فإنهم أرادوه على ان يجعل عليه قفلاً كما كانت تصنع الملوك قبله، فأبى وقال: «ما كنت لأضع عليه شيئاً حتى أعرف ما فيه.» فأمر بفتحه فإذا فيه صور العرب وفيه كتاب إذا فتح هذا الباب دخل هؤلاء القوم هذا البلد .

ثم رجع الى حديث عثمان وغيره قال : « فلما جاز طارق تلقته جنود قرطبة ، واجترؤوا عليه للذي رأوا من قلة أصحابه ،

---

١ ـ وردت هذه الروايه في كتب التاريخ على ان هذا البيت كان في مدينة طليطلة عاصمة القوط ، وان طارق بن زياد عندما دخله وجد طاولة سليمان الحكيم فاقتلع احد ارجلها ، وقدمها للخليفة في دمشق بعد ان سبق لموسى بن نصير ان قدم الطاولة بأرجل ثلاثة ، ولما سئل طارق عن عمله هذا اكد للخليفة انه دخل طليطلة قبل سيده موسى بن نصير .

فاقتتلوا فاشتد قتالهم ثم انهزموا ، فلم يزل يقتلهم حتى بلغوا مدينة قرطبة [1] وبلغ ذلك لذريق فزحف اليهم من طليطلة فالتقوا بموضع يقال له شذونه [2] على وادٍ يقال له اليوم وادي ام حكيم ، فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل الله عز وجل لذريق ومن معه . وكان مغيث الرومي يريد قرطبة ومضى طارق الى طليطلة فدخلها وسأل عن المائدة [3] ولم يكن له هم غيرها ، وهي مائدة سليمان بن داود التي يزعم أهل الكتاب . قال ، وحدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث بن سعد قال : فتح لموسى بن نصير الأندلس فاخذ منها مائدة سليمان بن داود عم والتاج . فقيل لطارق ان

---

١ - قرطبة بضم اوله وسكون ثانيه ، وضم الطاء المهملة ايضاً والبـاء الموحدة ، كلمة اعجمية وهي مدينة عظيمة بالاندلس وسط بلادهـا وكانت سريراً لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني امية ، ومعدن الفضلاء ، ومنبع النبلاء . قال ابن حوقل « واعظم مدينة بالاندلس قرطبة وليس لها في المغرب شبيه في كثرة الاهل وسعة الرقعة ، ويقال : انها كأحد جانبي بغداد وان لم تكن كذلك فهي قريبة منها .

٢ ــ مدينة بالاندلس تتصل كورتها بكورة مَوْرُوُر ، وهي من الكور المجندة ، نزلها جند فلسطين من العرب وهي جليلة القدر ، جامعة لخيرات البر والبحر ، لجأ اليها اهل الاندلس عامة سنة ١٣٦ ه اثر القحط الذي اصاب البلاد ست سنوات. انظر: الروض المعطار في خبر الاقطار للحميري مطبعة لجنةالتأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٧ ، ترجمة ٨٩

٣ - تقدم ذكرها وهي فيما يقال مائدة سليمان .

المائدة في قلعة يقال لها فراس ، مسيرة يومين من طليطلة وعلى القلعة ابن اخت للذريق فبعث اليه طارق بامانه وامان اهل بيته فنزل اليه ، فأمنه ووفّى له ، فقال له طارق ادفع اليّ المائدة فدفعها اليه وفيها من الذهب ، وجعل لها رجلًا سواها فقومت المائدة بمائتي الف دينار لما فيها من الجوهر ، واخذ طارق ما كان عنده من الجوهر ، والسلاح ، والذهب ، والفضة والآنية وأصاب سوى ذلك من الأموال ما لم ير مثله فحوى ذلك كله ثم انصرف الى قرطبة وأقام بها . وكتب الى موسى بن نصير يعلمه بفتح الأندلس وما أصاب من الغنائم ، فكتب موسى الى الوليد بن عبدالملك يعلمه بذلك ونحله نفسه وكتب موسى طارق الا يجاوز قرطبة حتى يقدم عليه وشتمه شتما قبيحاً .

ثم خرج موسى بن نصير الى الاندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين[1] بوجوه العرب والموالي وعرفاء البربر ، حتى دخل الاندلس ، وخرج مغيظاً على طارق وخرج معه حبيب بن ابي عبيدة الفهري ، واستخلف على القيروان ابنه عبدالله بن موسى ، وكان اسن ولده ، فاجاز من الخضراء ثم مضى الى قرطبة ، فتلقاه طارق فترضاه وقال له : «انما انا مولاك وهذا الفتح لك» فجمع موسى

---

١ ٩٣ هـ (٧١١ م)

من الاموال ما لا يقدر على صفته ، ودفع طارق كل ما كان غنم اليه . قال، « ويقال بل توجه لذريق الى طارق وهو في الجبل فلما انتهى اليه لذريق خرج اليه طارق ولذريق يومئذ على سرير ملكه والسرير بين بغلين يحملانه وعليه تاجه وقفازه . وجميع ما كانت الملوك قبله تلبسه من الحلية » . فخرج اليه طارق وأصحابه رجالة كلهم ليس فيهم راكب فاقتتلوا من حين بزغت الشمس الى ان غربت ، وظنوا انه الفناء ، فقتل الله لذريق ومن معه وفتح للمسلمين ، ولم يكن بالمغرب مقتلة قط أكثر منها ، فلم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة أيام ثم ارتحل الناس الى قرطبة . قال: «ويقال ان موسى هو الذي وجه طارقاً بعد مدخله الأندلس الى طليطلة ، وهي النصف فيما بين قرطبة واربونة [1] ، واربونة هي اقصى ثغر الأندلس وكان كتاب عمر بن عبد العزيز ينتهي الى اربونة ثم غلب عليها أهل الشرك فهي في أيديهم اليوم ، وان طارقاً انما أصاب المائدة فيها . وكان لذريق يملك ألفي ميل من الساحل الى ما وراء ذلك ، وأصاب الناس غنائم كثيرة من

---

٢ ـ اربونة هي آخر ما كان بايدي المسلمين من مدن الاندلس وثغورها ممّا يلي بلاد الافرنجية ، وقد خرجت من ايدي المسلمين سنة ٣٣٠ هـ (٩٤١ م) مع غيرها ممّا كان في ايديهم من المدن والحصون. انظر ترجمة رقم ٥ كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار طبعة القاهرة ١٩٣٧ لجنة التأليف والترجمة والنشر .

الذهب والفضة . حدثنا عبد الملك بن مسلمة : « حدثنا الليث ابن سعد قال : «ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب تنظم السلسلة من الذهب باللؤلؤ ، والياقوت ، والزبرجد ، وكان البربر ربما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى يأتوا بالفأس فيضرب وسطها فيأخذ أحدهما نصفها ؛ والآخر نصفها لأنفسهم وتسير معهم جماعة والناس مشتغلون بغير ذلك . حدثنا عبد الملك ابن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد ، قال : « لما فتحت الأندلس جاء انسان الى موسى بن نصير فقال : « ابعثوا معي أدلكم على كنز » فبعث معه فقال لهم الرجل : « انزعوا ها هنا فنزعوا » قال : فسال عليهم من الزبرجد ، والياقوت شيء لم يروا مثله قط ، فلما رأوه تهيبوه ، وقالوا لا يصدقنا موسى بن نصير فأرسلوا اليه حتى جاء ونظر اليه . حدثنا عبد الملك ، حدثنا الليث بن سعد « ان موسى بن نصير حين فتح الأندلس كتب الى عبد الملك انها ليست بالفتوح ولكنه الحشر » .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة « حدثنا مالك بن انس ، عن يحيى بن سعيد ، قال : « لما افتتحت الأندلس اصاب الناس فيها غنائم ، فغلوا فيها غلولاً كثيراً حملوه في المراكب ، وركبوا فيها فلما وسطوا البحر سمعوا منادياً ، يقول اللهم غرق بهم فدعوا

الله وتقلدوا المصاحف قال فما نشبوا ان أصابتهم ريح عاصف وضربت المراكب بعضها بعضاً حتى تكسرت وغرق بهم . وأهل مصر ينكرون ذلك ، ويقولون ان اهل الأندلس هم الذين غرقوا وإنما هم أهل سردانية وذلك ان أهل سردانية كما حدثنا سعيد بن عفير لما توجه اليهم المسلمون عمدوا إلى ميناء لهم في البحر فسدوه وأخرجوا منه الماء ، ثم قذفوا فيه آنيتهم من الذهب والفضة ، ثم ردوا عليه الماء بحاله وعمدوا الى كنيسة لهم فجعلوا لها سقفاً من دون سقفها وجعلوا ما كان لهم من مال بين السقفين، فنزل رجل من المسلمين يغتسل في ذلك الموضع الذي سكَّروه، ثم أعادوا عليه الماء فوقعت رجله على شيء فأخرجه فإذا صحفة من فضة ، ثم غاص ايضاً فأخرج شيئاً آخر فلما علم المسلمون بذلك حبسوا عنه الماء وأخذوا جميع تلك الآنية ، ودخل رجل من المسلَمين ومعه قوس بندق الى تلك الكنيسة التي رفعوا بين سقفيها مالهم فنظر الى حمام فرماه ببندقه فأخطأه وأصاب شبحة خشب فكسرها وانهال علَيهم المال فغل المسلِمون يومئذ غلولاً كثيراً . فان كان الرجل ليأخذ الهر فيذبحها ويرمي ما في جوفها ثم يحشوه مما غل، ثم يخيط عليه ويرمي بها الى الطريق ليتوهم من رآها انها ميتة ، فإذا خرج أخذها وان كان الرجل ينزع نصل سيفه فيطرحه ويملأ الجفن غلولاً ويضع قائم السيف على الجفن . فلما ركبوا

السفن وتوجهوا سمعوا منـادياً ينادي اللهم غرق بهم فتقلدوا المصاحف فغرقوا جميعاً إلا أبو عبد الرحمن الحبلي وحنش بن عبد الله السبئي [1] فانهما لم يكونا نديا من الغلول بشيء . حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنـا ابن لهيعة قال : سمعت ابا الاسود قال سمعت عمرو بن اوس يقول : « بعثني موسى بن نصير افتش أصحاب عطاء بن رافع ، مولى هزيـل حين انكسرت مراكبهم فكنت ربما وجدت الانسان قد خبأ الدنانير في خرقة في شيء بين خصيتيه ، قال فمر بي انسان متكئاً على قصبة فذهبت افتشه فنازعني ، فغضبت فأخذت القصبة فضربته بها فانكسرت وانتشرت الدنانير منها فأخذت أجمعها . حدثنا عبد الملك ، حدثنا الليث ابن سعد قال : « بلغني ان رجلًا في غزوة عطاء بن رافـع ، او غيره بالمغرب غل ، فتحمل بها حتى جعلهـا في زفت فكان يصيح عند الموت من الزفت ، من الزفت » .

قال وأخذ موسى بن نصير طارق بن عمرو فشدّه وثاقاً وحبسه وهمّ بقتله ، وكان مغيث الرومي غلاماً للوليد بن عبد الملك فبعث اليه طارق إنك ان رفعت أمري الى الوليد ، وان فتح الأندلس كان على يدي ، وان موسى حبسني يريد قتلي أعطيتك مائـة

---

١ ـ وردت في الاصل السبائي .

عبد ، وعاهده على ذلك فلما أراد مغيث الانصراف ودع موسى بن نصير وقال له لا تعجل على طارق ولك أعداء ، وقد بلغ أمير المؤمنين أمره وأخاف عليك وجده فانصرف مغيث ، وموسى بالأندلس فلما قدم مغيث على الوليد أخبره بالذي كان من فتح الأندلس على يدي طارق ، وبحبس موسى اياه والذي اراد به من القتل ، فكتب الوليد الى موسى يقسم له بالله لئن ضربته لأضربنك ، ولئن قتلته لاقتلن ولدك به ، ووجه الكتاب مع مغيث الرومي فقدم به على موسى الأندلس فلما قرأه أطلق طارقاً وخلى سبيله ووفى طارق لمغيث بالمائة العبد الذي كان جعل له .

وخرج موسى بن نصير من الأندلس ، بغنائمه وبالجوهر والمائدة واستخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى ، وكانت إقامة موسى بالأندلس سنة ثلاث وتسعين [1] واربع وتسعين واشهراً من سنة خمس وتسعين فلما قدم موسى افريقية كتب اليه الوليد بن عبد الملك بالخروج اليه ، فخرج واستخلف على افريقية ابنه عبد الله بن موسى وسار موسى بتلك الغنائم والهدايا حتى قدم مصر ، ومرض الوليد بن عبد الملك ، فكان

١ ـ ٩٣ هـ (٧١١ م)

يكتب الى موسى يستعجله، ويكتب اليه سليمان بالمكث والمقام ليموت الوليد ويصير ما مع موسي اليه ، وخرج موسى حتى اذا كان بطبرية [1] اتته وفاة الوليد فقدم على سليمان بتلك الهدايا فسر سليمان بذلك . ويقال أن موسى بن نصير حين قدم من الأندلس لم ينزل القيروان خلفها ، ونزل قصر الماء وضحى هنالك ثم شخصَ ، وشخص معه طارق . حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، عن الليث بن سعد قال : « قفل موسى بن نصير وافداً الى أمير المؤمنين في سنة ست وتسعين [2] ودخل الفسطاط [3] يوم الخميس لست ليال بقين من شهر ربيع الأول .

---

١ ـ بلدة من اعمال فلسطين وتشتهر ببحيرتها .

٢ ـ ٩٦ ه (٧١٤ م)

٣ ـ الفسطاط : وفيه لغات وله تفسير واشتقاق ، حدث الليث بن سعد وعبدالله ابن لهيعه عن يزيد بن ابي حبيب وغيره : ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم الجابية خلا به عمرو بن العاص وذلك سنة ١٨ ه فقال يا امير المؤمنين « ائذن لي في المسير الى مصر فانك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهي اكثر الارض اموالا وأعجز عن حرب وقتال، فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين . » ولكن من المؤكد عن ابي عمر الكندي انه سار ومعه ثلاثة آلاف وخمسمائة ثلثهم من غافق .

هذه الفكرة الاساسية حول فتح القطر المصري، واما الفسطاط فهي اول مدن الاسلام في القطر المصري بناها عمرو بن العاص سنة ١٨ ه (٦٣٩ م) وكان موقعها بين القاهرة ومصر العتيقة وتسمى الآن امبابة .

ثم رجع الى حديث عثمان بن صالح ، وغيره قال فبينا سليمان يقلب تلك الهدايا اذ انبعث رجل من أصحاب موسى يقال له عيسى بن عبد الله الطويل من أهل المدينة ، وكان على الغنائم فقال : « يا أمير المؤمنين إن الله قد أغناك بالحلال عن الحرام وإني صاحب هذه المقاسم ، وإن موسى لم يخرج خمساً من جميع ما أتاك به » فغضب سليمان وقام عن سريره فدخل منزله ثم خرج الى الناس فقال : « نعم قد أغناني الله بالحلال عن الحرام ، » وأمر بادخال ذلك بيت المال ، وقد كان سليمان قد أمر موسى بن نصير برفع حوائجه وحوائج من معه ثم الانصراف الى المغرب . قال ويقال : « بل قدم موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك والوليد مريض فأهدى اليه موسى المائدة » فقال طارق : « أنا أصبتها ، فكذبه موسى فقال للوليد فادع المائدة فانظر هل ذهب منها شيء ، فدعا بها الوليد فنظر فاذا برجل من أرجلها لا تشبه الرجل الأخرى ، فقال له طارق سله يا امير المؤمنين فإن أخبرك بما تستدل به على صدقه فهو صادق ، فسأله الوليد عن الرجل فقال هكذا أصبتها ، فأخرج طارق الرجل التي كان أخذ منها حين أصابها ، فقال يستدل أمير المؤمنين بها على صدق ما قلت له ، واني أصبتها فصدقه الوليد وقبل قوله وأعظم جائزته .

ثم رجع الى حديث عثمان وغيره قال : « وكان عبد العزيز

بن موسى ، بعد خروج أبيه قد تزوج امرأة نصرانية بنت ملك من أهل الأندلس يقال انها ابنة لذريق ملك الأندلس الذي قتله طارق فجاءته من الدنيا بشيء كثير لا يوصف ، فلما دخلت عليه قالت مالي لا أرى أهل مملكتك يعظمونك ولا يسجدون لك ، كما كان أهل مملكة أبي يعظمونه ويسجدون له فلم يدر ما يقول لها فأمر بباب فنقب له في ناحية قصره وجعله قصيراً وكان يأذن للناس فيدخل الداخل اليه من الباب حين يدخل منكساً رأسه لقصر الباب . » وهي في موضع تنظر الى الناس منه فلما رأت ذلك قالت لعبد العزيز الآن قوي ملكك . وبلغ الناس انه انما نقب الباب لهذا ، وزعم بعض الناس انها نصرته فثار به حبيب ابن ابي عبيدة الفهري ، وزياد بن النابغه التميمي ، وأصحاب لهم من قبائل العرب واجتمعوا على قتل عبد العزيز للذي بلَغهم من من امره وأتوا الى مؤذنه فقالوا أذن بليل لكي نخرج الى الصلاة ، فأذن المؤذن ثم ردد التثويب ، فخرج عبد العزيز فقال لمؤذنه لقد عجلت وأذنت بلَيل ، ثم توجه الى المسجد وقد اجتمع له اولئك النفر وغيرهم ممن حضر الصلاة وتقدم عبد العزيز فافتتح يقرأ : « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة [1] »

---

١ ــ قرآن انظر : سورة الواقعة سورة رقم ٥٦ الآيات ١ ـ ٢ـ٣

فوضع حبيب السيف على رأس عبد العزيز فانصرف هارباً حتى دخل داره فدخل جنـاناً له واختبأ فيه تحت شجرة ، وهرب حبيب بن أبي عبيدة وأصحابه ، وأتبعه زياد بن النابغة فدخل على أثره فوجده تحت الشجرة فقال له عبد العزيز يا ابن النابغة نجني ولك ما سألت فقال : « لا تذوق الحياة بعدهـا » فأجهز عليه واحتز رأسه وبلغ ذلك حبيباً وأصحابه فرجعوا . ثم خرجوا برأس عبد العزيز الى سليمان بن عبد الملك وأمّروا على الأندلس أيوب ابن اخت موسى بن نصير ، ومروا على القيروان وعليها عبد الله بن موسى بن نصير ، فلم يعرض لهم وساروا حتى قدموا على سليمان برأس عبد العزيز بن موسى فوضعوه بين يديه وحضر موسى بن نصير فقال له سليمان « أتعرف هذا ، قال نعم أعلمه ، صوّاماً قواماً فعليه لعنة الله إن كان الذي قتله خيراً منه » . وكان قتل عبد العزيز بن موسى كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد في سنة سبع وتسعين [1] . قال وكان سليمان عاتبـاً على موسى بن نصير فدفعه الى حبيب بن ابي عبيدة وأصحابه ليخرجوا به الى افريقيـا فاستغاث بايوب بن سليمان فأجاره وشفع له الى أبيه . ويقـال أن سليمان أخذ موسى بن

---

1 ـ ٩٧ هـ (٧١٥ م)

نصير فغرم له مائة الف دينار ، وألزمه ذلك وأخذ ما كان له فاستجار بيزيد بن المهلب فاستوهبه من سليمان ، فوهبه له وماله ورد ذلك عليه ولم يلزمه شيئاً . ومكث أهل الأندلس بعد ذلك سنين لا يجمعهم وال . وعزم سليمان على الحاج فأخرج موسى بن نصير على نصب حجره ، فخرج حتى كان بالمر توفي [1] . وكانت وفاته في سنة سبع وتسعين فيما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد .

ثم ولي أفريقيا محمد بن يزيد القرشي ، ولاه سليمان بن عبدالملك بمشورة رجاء بن حيوة وصرف عبد الله بن موسى سنة ست وتسعين [2] ــ حدثنا يحيى بن بكير عن الليث قال : « امر محمد بن يزيد على أفريقيا سنة سبع وتسعين ، فلم يزل محمد بن يزيد والياً حتى توفي سليمان بن عبدالملك » وكانت وفاته كما

---

١ ــ يقول ابن الأبار في ترجمة موسى بن نصير انه توفي : « وهو في طريقه الى الحج برفقة سليمان بن عبدالملك » وانه كان ولد بوادي القرى شمال الحجاز سنة ١٠ هـ (٦٤٠ م) وهو ينتسب الى بكر بن وائل كما وان اباه كان ممن سباهم خالد بن الوليد في موقعة عين التمر ، وقيل كان ينتسب بطريق الولاء الى بني لخم ، وان اباه كان على حرس معاوية بن ابي سفيان . انظر : الحلة السيراء تحقيق الدكتور عبدالله طباع دار النشر للجامعيين ــ بيروت ١٩٦٢

٢ ــ ٩٦ هـ (٧١٤ م)

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة تسع وتسعين [1] . فعزل وولى مكانه اسماعيل ابن عبيد الله في المحرم سنة مائة على حربها وخراجها وصدقاتها ، وكان حسن السيرة ولم يبق في ولايته يومئذ أحد إلا أسلم فلم يزل والياً عليها حتى توفي عمرو بن عبدالعزيز . وكانت وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الجمعة لعشر ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة [2] . فعزل وولى مكانه يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج ولاه يزيد بن عبدالملك في سنة إحدى ومائة.

وعبدالله بن موسى بن نصير يومئذ بالمشرق ، فقدم مع يزيد بن ابي مسلم الى افريقيا حتى إذا كان قريباً منها تلقاه الناس فلما دخل القيروان عزم يزيد بن ابي مسلم على عبدالله بن موسى ابن نصير ان ينصرف الى منزله فمضى عبدالله الى داره وأمر يزيد الناس باتباعه ، حتى ظنوا أنه شريك معه فلما أدبر عبدالله ألحقه يزيد رسولا بأن أعد من مالك عطاء الجند خمس سنين . ثم أن يزيد بن ابي مسلم أخذ موالي موسى بن نصير من البربر فوشم أيديهم وجعلهم أخماساً ، وأحصى أموالهم وأولادهم ثم جعلهم حرسه

---

١ ـ ٩٩ هـ (٧١٧ م)
٢ ـ ١٠١ هـ (٧١٩ م)

وبطانته وأخذ محمد بن يزيد القرشي فعذبه وجلده جلداً وجيعاً فاستقاه فسقاه رماداً ، وكان محمد بن يزيد قد ولى عذاب يزيد ابن مسلم في المشرق في زمان الحجاج فقال له يزيد : « إذا أصبحت عذبتك حتى تموت او أموت قبلك » وكان قد بنى له في السجن بيتاً ضيقاً فجعله فيه وكساه جبة صوف غليظة وطبع عليها بخاتم من رصاص . فلما تعشى يزيد بن أبي مسلم أتى في آخر طعامه بعنب فتناول منه عنقوداً وأهوى إليه رجل من حرسه يقال له حزيز بالسيف فضربه حتى قتله واحتز رأسه ورمى به في المسْجد عتمة ، فأقبل غلام لمحمد بن يزيد فدخل عليه السجن فقال : « ابشر فان يزيد قد قتل » فقال له محمد « قد كذبت » وظن انه دس اليه ثم أتبعه آخر ثم آخر حتى توافوا سبعة فلما تيقن محمد بموت يزيد أعتق العبيد . قال ويقال بل كان حرس يزيد بن ابي مسلم حين قدم البربر ليس فيهم إلا بتري [1] وكانوا هم حرس الولاة قبله البتر خاصة وليس فيهم من البرانس أحد فخطب يزيد بن ابي مسلم الناس فقال : « اني ان أصبحت صالحاً ، وشمت حرسي في أيديهم كما تصنع الروم فأشم في يد

---

١ ـ بتر بتراً قطعه . الابتر م بتراء المقطوع : من لا عقب له . الابتران : العبد والعير وسمّيا بذلك لانقطاع الخير عنهما . والبتراء من الخطب: التي لم يذكر فيها الحمد لله .

الرجل اليمنى اسمه ، وفي اليسرى حرسي فيعرفوا بذلك من غيرهم » فأنفوا من ذلك ودب بعضهم الى بعض في قتله وخرج من لياته الى المسجد لصلاة المغرب فقتلوه في مصلاه . وكان قتله كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد في سنة اثنين ومائة [1] .

فلما قتل يزيد بن ابي مسلم اجتمع الناس فنظروا في رجل يقوم بأمرهم الى أن يأتي رأي يزيد بن عبدالملك فتراضوا بالمغيرة ابن ابي بردة القرشي ، ثم أحد بني عبد الدار فقال له عبد الله ابنه « ايها الشيخ ، إن هذا الرجل قتل بحضرتك فان قمت بهذا الأمر بعده لم آمن عليك أن يلزمك أمين المؤمنين قتله » فقبل ذلك الشيخ فاجتمع رأي أهل أفريقيا على محمد بن أوس الانصاري ، وكان بتونس على غزو بحرها ، فأرسلوا اليه فولوه أمرهم وكتب الى يزيد يخبره بما كان فبعث في ذلك خالد بن ابي عمران ، وهو من أهل تونس فقدم على يزيد فقبل منهم وعفا عما كان من زلتهم . قال خالد بن ابي عمران « ودعاني يزيد خالياً » فقال أي رجل محمد بن اوس فقلت رجل من أهل الدين ، والفضل معروف بالفقه ، قال فما كان بها قرشي قلت بلى

---

١ ـ ١٠٢ هـ (٧٢٠ م)

المغيرة بن أبي بردة ، قال قد عرفته فما له لم يقم قلت ابىِ ذلك ، وأحب العزلة فسكت » .

واتهم الناس عبدالله بن موسى بن نصير أن يكون هو الذي عمل في قتل يزيد بن أبي مسلم ، فولى يزيد بن عبد الملك بشر ابن صفوان الكلبي افريقيا وذلك في سنة اثنتين ومائة ، وكان عامله على مصر فخرج الى افريقيا ، واستخلف على مصر اخاه حنظلة ، فلما دخل افريقيا بلغه ان عبدالله بن موسى هو الذي دس لقتل يزيد بن ابي مسلم ، وشهد على ذلك خالد بن ابي حبيب القرشي ، وغيره ، فكتب يزيد الى بشر بن صفوان ، يأمره بقتل عبدالله بن موسى بن نصير وهم بشر بتأخيره اياماً ، فقال خالد بن أبي حبيب ومحمد بن ابي بكير ، لبشر بن صفوان عجل بقتله من قبل أن تأتيهِ عافيته من امير المؤمنين ، وكانت ام عبدالله ابنة موسى بن نصير تحت الربيع صاحب خاتم يزيد ، فكلم يزيد فأمر بعافيته وجعلت أخته للرسول ثلاثة آلاف دينار ان هو أدركه وامر بشر بقتل عبد الله بن موسى ؛ فقتل وقدم الرسول بعافيته بعد أن قتله في ذلك اليوم وبعث برأسه مع سليمان بن وعلة التميمي الى يزيد فنصبه .

ثم وفد بشر بن صفوان الى يزيد بهدايا كان أعدها له

حتى إذا كان ببعض الطريق لقيته وفاة يزيد. وكانت وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد ليلة الجمعة لأربع ليال بقين من شعبان سنة خمس ومائة [1] . وقدم بشر بتلك الهدايا على هشام بن عبد الملك فرده على أفريقيا فقدمها وتتبع اموال موسى ابن نصير ، وعذّب عماله وولى على الأندلس عنسبة بن سحيم الكلبي ، وعزل عنها الحر بن عبدالرحمن القيسي ، وقد كان بشر غزا البحر من أفريقيا فأصابهم الهول فهلك لذالك من جيشه خلق كثير ثم توفي بشر بن صفوان من مرض يقال له الدبيلة في شوال سنة تسع ومائة [2] .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد ، قال نزع بشر بن صفوان عن افريقيا سنة خمس ومائة ، ورد اليها في سنة ست ومائة ومات في سنة تسع ومائة واستخلف بشر بن صفوان حين توفي على افريقيا نغاش بن قرط الكلبي فعزله هشام وولى عبيدة بن عبد الرحمن القيسي على أفريقيا في صفر سنة عشر ومائة [3] » .

حدثنا يحيي بن بكير عن الليث قال : « وولي عبيد بن

---

١ ـ ١٠٥ هـ (٧٢٣ م)
٢ ـ ١٠٩ هـ (٧٢٧ م)
٣ ـ ١١٠ هـ (٧٢٨ م)

عبد الرحمن افريقيا في المحرم سنة عشر ومائة ، فلما قدم عبيدة افريقيا وجه المستنير بن الحبحاب الحرشي غازياً الى صقلية فأصابتهم ريح فغرقتهم ووقع المركب الذي كان فيه المستنير الى ساحل اطرابلس فكتب عبيدة بن عبد الرحمن الى عامله على اطرابلس يزيد بن مسلم الكندي يأمره أن يشده وثاقاً ويبعث معه ثقة ، فبعث به في وثاق فلما قدم على عبيدة جلده جلداً وجيعاً وطاف به القيروان على أتان ثم جعل يضربه في كل جمعة مرة ، حتى ابلغ اليه وذلك أن المستنير أقام بأرض الروم حتى نزل عليه الشتاء واشتدت أمواج البحر وعواصفه فلم يزل محبوساً عنده » .

وكان عبيدة قد ولى عبد الرحمن بن عبد الله العكي على الأندلس ، وكان رجلا صالحاً فغزا عبدالرحمن افرنجة وهم أقاصي عدو الأندلس فغنم غنائم كثيرة وظفر بهم ، وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفصصة بالدر ، والياقوت ، والزبرجد ، فأمر بها فكسرت ثم اخرجت الخمس ، وقسّم سائر ذلك في المسلمين الذين كانوا معه ، فبلغ عبيدة فغضب غضباً شديداً فكتب اليه كتاباً يتواعده فيه ، فكتب اليه عبد الرحمن « ان السماوات والأرض كانتا رتقاً لجعل الرحمن للمتقين منهما مخرجاً ، » ثم خرج

اليهم أيضاً غازياً فاستشهد وعامة أصحابه وكان قتله فيما حدثنا يحيى عن الليث في سنة خمس عشر ومائة [1] .

فولى عبيدة على الأندلس بعده ، عبدالملك بن قطن ، ثم خرج عبيدة الى هشام بن عبد الملك وخرج معه بهدايا ذلك في شهر رمضان سنة اربع عشر ومائة [2] . حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : « كان قدوم عبيدة بن عبد الرحمن من افريقيا سنة خمس عشرة ومائة[3] وفيها أمّر ابن قطن على الأندلس وكان ما خرج فيه من العبيد والاماء من الجواري المتخيرة سبع مائة جارية ، وغير ذلك من الخصيان ، والخيل ، والدواب والذهب والفضة والآنية . واستخلف على أفريقيا حين خرج عقبَة بن قدامة التجيبي فقدم على هشام بهداياه واستعفاه فأعفاه ، وكتب الى عبد الله بن الحبحاب وهو عامله على مصر يأمره بالمصير الى افريقيا ، وولاه إياها وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ست عشر ومائة [4] ، فقدم عبيدالله بن الحبحاب افريقيا فأخرج المستنير

---

١ ـ ١١٥ هـ (٧٤٢ م)
٢ ـ ١١٤ هـ (٧٣٤ م)
٣ ـ ١١٥ هـ (٧٣٣ م)
٤ ـ ١١٦ هـ (٧٣٤ م)

من السجن ، وولاه تونس واستعمل ابنه اسماعيل بن عبيدالله على السوس ، واستخلف ابنه القاسم بن عبيد الله على مصر ، واستعمل على الأندلس عقبة بن الحجاج ، وعزل عبد الملك بن قطن ، ويقال بل كان الوالي على الأندلس يومئذ عنبسة بن سحيم الكلبي فعزله ابن الحبحاب وولي عقبة بن الحجاج فهلك عقبة بن الحجاج بالأندلس فرد عبيد الله عليها عبدالملك بن قطن » .

وغزا عبيدالله حبيب بن ابي عبيدة الفهري السوس ، وأرض السودان ، فظفر بهم ظفراً لم ير مثله وأصاب ما شاء من ذهب ، وكان فيما أصاب جارية او جاريتان من جنس تسميه البربر اجان ، ليس لكل واحدة منهن إلا ثدي واحد . ثم غزا أيضاً البحر ثم انصرف .

وانتفضت البربر على عبيدالله بن الحبحاب بطنجة فقتلوا عامله عمر بن عبد الله المرادي ، وكان من تولى ذلك ميسرة بن الفقير البربري ثم المدغري وهو الذي قام بامر البربر وادعى الخلافة ، وتسمى بها وبويع عليها ثم استعمل ميسرة على طنجة عبد الأعلى بن حديج الافريقي ، وكان أصله رومياً وهو مولى لابن نصير . ثم سار الى السوس وعليها اسماعيل بن عبيد الله فقتله وذلك اول فتنة البربر بارض افريقيا فوجه عبيدالله بن الحبحاب خالد بن ابي

حبيب الفهري الى البربر بطنجة ومعه وجوه أهل افريقيا من قريش والأنصار وغيرهم ، فقتل خالد ، وأصحابه لم ينج منهم أحد فسميت تلك الغزوة غزوة الأشراف . ويقال أن خالداً لقي ميسرة دون طنجة فقتل ومن معه . ثم انصرف ميسرة الى طنجة فأنكرت عليه البربر سيرته وتغيره عما كانوا بايعوه عليه ، فقتلوه وولوا أمرهم عبدالملك بن قطن المحاربي .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : « كا بين ميسرة الفقير واهل افريقيا من البربر ...[1] وقتل اسماعيل بن عبيد الله وخالد بن أبي حبيب في سنة ثلاث وعشرين ومائة[2] . فوجه اليهم ابن الحجاب حبيب بن ابي عبيدة فلما بلغ تلمسين[3]

---

١ ـ يوجد بياض في المخطوط

٢ ـ ١٢٣ هـ (٧٤٠ م)

٣ ـ تلمسان : بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة ، وبعضهم يقول تنِمْسان بالنون عوض اللام: بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسوّرتان، بينهما رمية حجر ، احداهما قديمة والاخرى حديثة ، والحديثة اختطها الملثّمون ملوك المغرب واسمها تافرزت فيها يسكن الجند واصحاب السلطان واصناف من الناس . واسم القديمة اقادير ، يسكنها الرعية فهما كالفسطاط والقاهرة من ارض مصر ؛ ويكون بتلمسان الخيل الراشدية ، لها فضل على سائر الخيل ، وتتخذ النساء بها من الصوف انواعاً من الكنابيش لا توجد في غيرها ، ومنها الى وهران مرحلة ويزعم بعضهم انه البلد الذي اقام به الخضر عليه السلام .

أخذ موسى بن ابي خالد مولى لمعاوية بن حديج وكان على تلمسين وقد اجتمع اليه من تمسك بالطاعة فاتهمه حبيب أن يكون له هوى او قد دس للفتنة فقطع يده ورجله وكان مقيما بتلمسين في جيشه ، وقفل عبيد الله بن الحبحاب إلى هشام بن عبد الملك وذلك في جمادي الاولى من سنة ثلاث وعشرين ومائة [1] .

ثم وجه هشام على أفريقيا كلثوم بن عياض القيسي ، في جمادي الاخرة سنة ثلث وعشرين ومائة [2] وقدم بلج بن بشر امامه فلما قدّم كلثوم افريقيا أمر أهل أفريقيا بالجهاز والخروج معه الى البربر وقطع على اهل اطرابلس بعثاً فخرج في عديد كثير واستخلف على القيروان عبدالرحمن بن عقبة الغفاري ، وعلى الحرب مسلمة بن سوادة القرشي ، فثار عليه بعد خروج كلثوم يريد بربر طنجة عكاشة بن ايوب القزازي من ناحية قابس وهو صفري وأرسل أخاً له فقدم سبرت [3] فجمع بها زناته وحصر أهل سوق

---

١ ـ ١٢٣ هـ (٧٤٠ م)
٢ ـ ١٢٣ (٧٤٠ م)
٣ ـ سَبْرَتُ : يقول صاحب معجم البلدان انه وجده كذلك مضبوطاً بخط من يرجع اليه في الصحة وهو ابن عبدالحكم ابي مؤلف هذا الكتاب الذي يؤكد «ان اطرابلس اسم للكورة ومدينتها نبارة ، وَسَبْرتُ : السوق القديم ، وانما نقله الى نبارة عبدالرحمن بن حبيب سنة ٣١ هـ

سبرت في مسجدهم وعليهم حبيب بن ميمون. وبلغ الخبر صفوان بن ابي مالك وهو أمير على أطرابلس فخرج بهم فوقع على اخي الفزاري وهو محاصر اهل سبرت فقاتلهم فانهزم الفزاري . وقتل أصحابه من زناتة وغيرهم وهرب الى اخيه بقابس [1] . وخرج مسلمة بن سوادة في أهل القيروان الى عكاشة بن ايوب بقابس فقاتلهم فانهزم مسلمة وقتل عامة من خرج معه ولحق بالقيروان ، وتحصن عامة من كان مع مسلمة من أهل القيروان وعليهم سعيد ابن بجرة الغساني .

ويقال ان كلثوم بن عياض حين قدم من عند هشام خلف القيروان ولم ينزل به ولم يدخله ونزل سبيبة [2] وهي من مدينة القيروان على

---

١ ــ قال البكري : قابس مدينة جليلة مسوّرة بالصخر الجليل من بنيان الاول ذات حصن حصين وارباض وفنادق وجامع وحمّامات كثيرة وقد احاط بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون امنع شيء ، ولها ثلاثة ابواب ، وبشرقيها وقبليّها ارباض يسكنها العرب والأفارق وفيها جميع الثمار والموز وهي تُميز القيروان باصناف الفواكه ، وفيها شجر التوت الكثير ويقوّم من خمس شجرات غيرها ، وحريرها اجود الحرير وأرقه ، وليس في عمل افريقيا حرير الا في قابس .

٢ ــ سبيبة بفتح اوله ، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم باء موحدة ، ناحية من اعمال افريقيا ثم من اعمال القيروان ، ينسب اليها ابو عبدالله بن ابراهيم السبيبي الخطيب بالمهديه .

يوم فافطر فيها ، وكتب الى حبيب بن ابي عبيدة ألا يفارق عسكره حتى يقدم عليه ، ثم شخص كلثوم غازياً حتى قدم على حبيب ، ثم رحلا جميعاً بمن معهما الى طنجة . وكان كلثوم حين خرج الى البربر قد قدم بلج بن بشر القيسي على مقدمته في الخيل ، فلما قدم على حبيب رفضه وأهان منزلته ، ثم قدم كلثوم فتلقاه حبيب فتهاون به ايضاً ، ثم خطب كلثوم الناس على ديدبان له فطعن في حبيب وشتمه واهل بيته ، وكان عبد الرحمن بن حبيب مع ابيه حبيب . ثم نفذ كلثوم وحبيب فلما انتهى الى مطلوبه من أرض طنجة تلقته البربر بجموعهم وعليهم خالد بن حميد الزناتي ، ثم الهتوري عراة متجردين ليس عليهم إلا السراويلات وكانوا صفرية وجاؤا جردين فأشار حبيب بن ابي عبيدة على كلثوم أن يقاتلهم الرجالة بالرجالة ، والخيل بالخيل ، فقال له كلثوم « أما أغنانا عن رأيك يا ابن ام حبيب » فوجه بلج بن بشر على الخيل ليدوسهم بها .

وكانت الخيل أوثق في نعس كلثوم من الرجالة . وإن بلجا اسرى ليله حتى واقعهم عند الصبح واستقبلوه عراة متجردين ، فحملت عليهم الخيل فصاحوا ، وولوا ، ورموا بالاوضاف [1]

---

١ ـ وضف ، يضف وضفاً وأوضف البعير : اسرع .

فانهزم بلج جريحاً وتساقطت الخيول على كلثوم ، وقد تأهب وعبى أصحابه فأرسل الى حبيب بن أبي عبيدة فقال: « إن أمير المؤمنين امرني أن أوليك القتال واعقدُ لك على الناس » فقال حبيب : « قد فات الأمر » وزحفت رجالة البربر على الخيل حتى خالطوا كلثوماً وأصحابه ، فأقسم حبيب على ابنه عبد الرحمن ألا ينزل راجلًا ، وان يلزم بلجاً فيكون معه أسفا على بلج فاني مقتول وهلك كلثوم وحبيب ومن معهما ، وانهزم الناس الى افريقيا. وكان قتل كلثوم في سنة ثلٰث وعشرين ومائة.[1]

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : « قتل كلثوم في سنة أربع وعشرين ومائة[2] قتله ميسرة وانهزم بلج بن بشر وثعلبة الجذامي وبقية من أهل الشام إلي الأندلس فاتبعهم ابو يوسف الهواري ، وكان طاغية من طواغي البربر ، فادركهم فقاتلهم فقتل ابو يوسف وانهزم أصحابه ومضى بلج وثعلبة إلى الأندلس » .

وكان كلثوم قد كتب إلى أهل الأندلس ، وعليها عبدالملك ابن قطن الفهري يأمرهم بامداده والخروج اليه ، فوافاهم بلج وقد

---

١ ـ ١٢٣ هـ (٧٤٠ م)
٢ ـ ١٢٤ هـ (٤٧١ م)

وقعوا الى مجاز الخضراء . وتقدم عبدالرحمن بن حبيب أمام بلج الى الأندلس ، فقدمها وأمر عبدالملك بن قطن ألا يسمع لبلج ولا يطيعه ثم قدم بلج فأقام بالجزيرة وكتب الى عبدالملك بن قطن يعلمه أنه خليفة كلثوم، وشهد له بذلك ثعلبة الجذامي، وأصحابه وكان الرسول فيما بينهما قاضي الأندلس فسلم عبدالملك بن قطن الولاية لبلج على كره من عبد الرحمن بن حبيب ، فخرج عبدالرحمن من قرطبة كارهاً لولاية بلج . ثم أن بلجاً لما قدم قرطبة حبس عبد الملك بن قطن في السجن وثار عبدالرحمن بن حبيب ومعه أمية بن عبد الملك بن قطن فجمعا لقتال بلج فأخرج بلج عبدالملك بن قطن من السجن وقال له : « قم في المسجد فاخبر الناس أن كلثوماً كتب اليك أني خليفته » فقال عبدالملك فقال : « أيها الناس إني والي كلثوم وإني محبوس بغير حق » فضرب بلج عنقه . ثم قدم عبدالرحمن بن حبيب بجموع فخرج اليه بلج ومن معه من أهل الشام ، وكان بينهم نهر فلما كان الليل عبر عبدالرحمن الى قرطبة ، وخليفة بلج بها القاضي وقد كان القاضي اتهم بدم عبدالملك بن قطن ، فأخذه عبد الرحمن بن حبيب فسمل عينيه ، وقطع يديه ورجليه وضرب عنقه ، وصلبه على شجرة وجعل على جثته رأس خنزير ، وبلج لا يشعر ثم خرج من قرطبة فقاتله بلج فانهزم عبدالرحمن بن حبيب ، ثم جمع جمعاً آخر

فقتل بلج ومن معه . ويقال أن بلجاً لم يقتل انما مات موتاً . حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : « مات بلج سنة خمس وعشرين ومائة [1] بعد قتله ابن قطن بشهر .

ثم افترق أهل الأندلس على أربعة أمراء حتى أرسل اليهم حنظلة بن صفوان الكلبي ، بأبي الخطار الكلبي فجمعهم وسأذكر ذلك في موضعه ان شاء الله .

وقد كان كلثوم بن عياض كتب إلى عامله على اطرابلس صفوان بن أبي مالك يستمده فخرج اليه بأهل اطرابلس حتى قدم قابس [2] فانتهى اليه خبر كلثوم ومن معه فانصرف وقد كان خرج اليه سعيد بن بجرة ومن تحصن معه من أصحاب مسلمة ابن سواده الجذامي ، وتنحى الفزاري الى نهر يقال له الحمة [3] على اثني عشر ميلاً من قابس فلما رجع صفوان بن ابي مالك ، تحصن سعيد بن بجرة وأصحابه بقابس . وخرج عبد الرحمن بن عقبة الغفاري في أهل القيروان الى الفزاري فلقيه فيما بين قابس ، وبين

---

١ ـ ١٢٥ هـ (٧٤٢ م)

٢ ـ تقدمت ترجمتها

٣ ـ الحمّة : العين الحارة يستشفي بها الأعلاء والمرضى ، اما موضعها فقريب من قابس في افريقيا .

القيروان فانهزم الفزاري وقتل عامة أصحابه .

ثم وجه هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان في صفر سنة أربع وعشرين ومائة [1] وكان عامله على مصر، فلما قدم أفريقيا كتب اليه أهل الأندلس ، وأهل الشام ، وغيرهم يسألونه أن يبعث اليهم والياً فبعث أبا الخطار ، فلما قدمها أدوا اليه الطاعة فوليها ودانت له ، وفرق جمع بلج بن بشر ، وعبد الرحمن بن حبيب، وأخرج ثعلبة بن سلامة في سفينة إلى أفريقيا ثم أخرج بعده عبدالرحمن بن حبيب وأخرج مع ثعلبة أهل الشام فكانوا بالقيروان مع حنظلة . ثم أن حنظلة بن صفوان أخرج عبد الرحمن بن عقبة الغفاري الى عكاشة بن ايوب الفزاري ، وقد جمع جمعاً بعد انهزامه من قابس فلقيه بمن معه، فانهزم الفزاري وقتل عامة أصحابه ثم جمع أيضاً فلقيه عبد الرحمن بن عقبة ، فهزمه ثم جمع جمعاً آخر، وقدم عبد الواحد بن يزيد الهواري ، ثم المدهمي وكان صفرياً مجامعاً للفزاري ، على قتال حنظلة بن صفوان فخرج اليهما عبد الرحمن بن عقبة في أهل أفريقيا فقتل عبد الرحمن بن عقبة وأصحابه. وكان مقتل عبد الرحمن بن عقبة كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث في سنة أربع وعشرين ومائة . ثم مضى عبد الواحد بن يزيد فأخذ تونس واستولى عليها وسلم عليه بالخلافة ثم تقدم إلى القيروان

---

١ ـ ١٢٤ هـ (٧٤١ م)

وانتبذ الفزاري بعسكره ناحية وكلاهما يريد القيروان يتبادران اليها أيهما يسبق صاحبه فيغنم فلما رأى حنظلة ما غشيهم من جموع البربر مع الفزاري وعبد الواحد ، احتفر على القيروان خندقاً وزحف اليهم عبد الواحد ، وكتب الى حنظلة يأمره أن يخلي له القيروان ومن فيه فأسقط في أيديهم وظنوا انهم سيسبون ، حتى ان كان حنظلة ليبعث الرسول منهم ليأتيهم بالخبر ، فما يخرج الى مسيرة ثلاثة أميال إلا بخمسين ديناراً .

فلما غشيه عبد الواحد وكان من القيروان على شبيه بمرحلة بمكان يقال له الأصنام ، ونزل الفزاري من القيروان على ستة أميال وكان مع عبد الواحد أبو قرة المغيلي وكان على مقدمته فكتب حنظلة إلى الفزاري كتاباً يرثيه فيه ويمنيه رجاء أن لا يجتمعا عليه فلا يقوى عليهما وخاف اجتماعهما . وكان على عكاشة أقرب إلى حنظلة فصبح عبد الواحد الأصنام بجموعه وزحف حنظلة الى الفزاري لقربه منه ، وخرج معه بأهل القيروان فخرج قوم آئسون من الحياة ، للذي كانوا يتخوفونه من سبي الذراري ، وذهاب النساء والأموال وجعل عليهم محمد بن عمرو بن عقبة ، فلقيهم بالأصنام فهزم الله عبدالواحد وجمعه ، وقتل ومن معه قتلا ما يدري ما هو وهرب من هرب منهم . فلما فتح لحنظلة عاجل عكاشة الفزاري من ليلته فقاتله بالقرن ولم يكن بلغ عكاشة

هزيمة عبدالواحد ، فهزمه الله ومن معه من أصحابه وهرب عكاشة حتى انتهى إلى بعض نواحي أفريقيا فأخذه قوم من البربر أسيراً حتى اتوا به الى حنظلة فقتله . وكان عبد الواحد ومن معه صفرية يستحلون سبي النساء ، وكان قتل عكاشة ، وعبد الواحد كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث سنة خمس وعشرين ومائة [1] .

وقد كان حنظلة عند ما كان من حلول عبد الواحد بالأصنام وعكاشة بالقرن وقربا من القيروان كتب الى معاوية بن صفوان حتى عامله على اطرابلس يأمره بالخروج اليه بأهل اطرابلس ، فخرج حتى انتهى الى قابس ، فبلغه مان كان من هزيمة عبدالواحد وعكاشة ، فكتب اليه حنظلة في بربر خرجوا بنفزاوة [2] وسبوا أهل ذمتها فامضى اليهم فسار إليهم بمن معه فقاتلهم ، فقتل معاوية بن صفوان وقتل الصفرية ، واستنقذ ما كانوا أصابوا من أهل الذمة ، فبعث حنظلة إلى جيش معاوية ذلك زيد بن عمرو الكلبي فانصرف بهم

---

١ ـ ١٢٥ هـ (٧٤٢ م)

٢ ـ بالكسر ثم السكون ، وزاي ، وبعد الالف واو مفتوحة : مدينة من اعمال افريقيا قال البكري : وتسير من القيروان الى نفزاوة ستة ايام نحو المغرب ، وبمدينة نفزاوة عين تسمى بالبربرية تاورغي وهي عين كبيرة لا يدرك قعرها ولمدينة نفزاوة سور صخر وطوب ولها ستة ابواب وفيها جامع وحمام واسواق حافلة وهي كثيرة النخل والثمار وحواليها عيون كثيرة .

إلى اطرابلس . وكان عبد الرحمن بن حبيب بتونس وكان ثعلبة بن سلامة الجذامي مع حنظلة ، فلما بلغ من بافريقيا من أهل الشام قتل الوليد بن يزيد خرج عامة قوادهم وخرج ثعلبة بن سلامة الى المشرق . وكان قتل الوليد كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الخميس لثلاث ليال بقين من جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة [1] .

فخرج عبد الرحمن بن حبيب بتونس وجمع لقتال حنظلة بن صفوان واخراجه من أفريقيا فلما بلغ ذلك حنظلة أرسل وجوه افريقيا الى عبد الرحمن يدعوه إلى الدعة والكف عن الفتنة فساروا فلما كانوا ببعض الطريق بلغتهم ولاية مروان بن محمد فأرادوا الانصراف ، وبلغ عبد الرحمن ان حنظلة قد أرسل اليه رسلًا وكانوا خمسين رجلًا ، وانهم يريدون الانصراف فأرسل اليهم خيلًا فاصرفتهم اليه ، ووجد عبدالرحمن عليهم لخروجهم اليه ، وكانوا قد كاتبوه قبل ذلك سراً من حنظلة فلمَّا بلغتهم ولاية مروان نزعوا عن ذلك ، فبعث بهم إلى تونس في الحديد . وكتب عبد الرحمن الى حنظلة أن يخلي له القيروان ، وأن يخرج منها ، وأجله ثلاثة أيام وكتب الى صاحب بيت المال ألا يعطيه ديناراً ولا درهماً إلا ما حل له

---

١ ـ ١٢٦ هـ (٧٤٣ م)

من أرزاقه ، فلما قرأ حنظلة الكتاب هم بقتاله ، ثم حجزه عنه الورعُ وكان ورعاً فخرج بمن خف معه من أصحابه من أهل الشام، وذلك في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين ومائة[1] ودخل عبدالرحمن بن حبيب القيروان في جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة[2] .

ثم بعث عبدالرحمن أخاه ابن حبيب عاملاً على أطرابلس ، فأخذ عبد الله بن مسعود التجيبي وكان اباضياً ورئيساً فيهم ، فضرب عنقه واجتمعت الاباضية باطرابلس ، فعزل عبد الرحمن أخاه ، وولى حميد بن عبد الله العكي . وكان على الاباضية حين اجتمعت عبد الجبار بن قيس المرادي ، ومعه الحارس بن تليد الحضرمي فحاصروا حميد بن عبد الله في بعض قرى اطرابلس ووقع الوباء في أصحابه فخرج بعهد وأمان فلما خرجوا أخذ عبد الجبار ابن قيس نصير بن راشد، مولى الأنصار فقتله وكان من أصحاب حميد وكانوا يطلبونه بدم عبدالله بن مسعود التجيبي المقتول . واستولى عبد الجبار على زناتة وأرضها ، فكتب عبد الرحمن بن حبيب الى يزيد بن صفوان المعافري بولاية اطرابلس ووجه مجاهد

١ ـ ١٢٧ هـ (٧٤٤ م)
٢ ـ ١٢٦ هـ (٧٤٣ م)

ابن مسلم الهواري يستأنف النـاس ويقطع عن عبدالجبَّار هوارة وغيرهم فأقام مجاهـداً في هوارة أشهراً ثم طردوه فلحق بيزيد بن صفوان باطرابلس فوجه عبد الرحمن بن حبيب محمد بن مفروق في خيل وكتب إلى يزيد بن صفوان بالخروج معه ، فخرجوا فلقيهم عبدالجبار بن قيس ، والحـارث بن تليد بمكان في أرض هوارة فقتل يزيد بن صفوان ومحمد بن مفروق وانهزم مجاهد بن مسلم الى أرض هوارة . فقفل عبدالرحمن بن حبيب واجتمع اليه جمع كثير فزحف بهم الى عبد الجبار ، والحارث بن تليد فلقيهم بأرض زناتة فانهزم عمرو بن عثمان واصحابه . واستولى عبد الجبار والحارث على اطرابس كلها .

ثم خرج عمرو بن عثمان إلى دغوغا ومعه مجاهد بن مسلم ، وأتبعه الحارث بن تليـد فوجه عمرو من دغوغـا إلى الصحراء فأدركه الحارث فتقـدم عمر إلى سرت [1] فأدركته خيل الحارث

---

١ ـ مدينة على ساحل البحر الرومي بين برقة وطرابلس الغرب لا بأس بها ، وفي سمتها من ناحية الجنوب في البر أجدابية ، ومنها يقصد الى طرابلس الغرب . قال ابو الحسن علي بن المفضل المقدسي الحافظ من اصحاب السلفي: أنشدني ابو بكر عتيق بن القاسم السرتي لنفسه :

اقول لعيني دائمـاً ؛ ولدمعهـا	لسان بسرّ الحب في الخـد ناطق :
اجدّك ما ينفك لي منك ضائر	بسرّيَ واشٍ او لحينيَ رامـق
فلولاك لمّـا اعرف العشق اولا	ولولاه لم يعرف بانيَ عاشـق

فقتلوا نفراً من أصحابه ، ونجا عمرو على فرسه جريحاً ، واحتوى الحارث على عسكره ، واستفحل أمر عبد الجبـار والحارث . ثم اختلف أمرهما ، وتفـاقم مـا بينهما فاقتتلا فقتل عبد الجبار والحارث جميعاً . فولي البربر على أنفسهم اسماعيل بن زياد النفوسي ، فعظم شأنه وكثر تبعه فخرج اليه عبد الرحمن بن حبيب حتى إذا كان بقابس قدم ابن عمه شعيب بن عثمان في خيل فلقي اسماعيل فقتل اسماعيل وأصحابه وأسر من البربر أسارى كثيرة .

وكان عبد الرحمن مقيماً في عسكره ولم يشهد الواقعة فنهض حين فتح له الى سوق اطرابلس ومعه الأسارى ، وكتب الى عمرو بن عثمان ، فقدم عليه من أرض سرت ، وقدم الأسارى فضرب أعنـاقهم وصلبهم واستعمل على اطرابلس عمر بن سويد المرادي وأمره أن ينفل .

فهرست مواد الكتاب

العنوان	الصفحة